

مباحث في الوطنية والمواطنة من منظور الفكر الإسلامي



تأليف
أ.د. إبراهيم رحمانى

مباحث في الوطنية والمواطنة من منظور الفكر الإسلامي

تأليف
أ.د. إبراهيم رحمانى





■ عنوان الكتاب: مباحث في الوطنية والمواطنة من منظور الفكر الإسلامي.

■ المؤلف: أ.د. إبراهيم رحمانى.

■ الطبعة الأولى: 1448 هـ / 2026 م.

■ الإيداع القانوني: سبتمبر 2026.

محفوظة
جميع الحقوق

■ ISBN: 978-9969-681-42-0

■ عدد الصفحات: 128.

■ المقاس: 14.8 × 21 سم.

■ التنفيذ الطباعي:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،
وعلى وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن قضية الوطنية والمواطنة تُعدّ من أهم القضايا المعاصرة التي تشغل
الفكر الإنساني عموماً، والفكر الإسلامي خصوصاً، لا سيما في ظل
التطوّرات المتسارعة التي تشهدها المجتمعات الإنسانية، وطبيعة
التحديات الحضارية والثقافية والسياسية التي تفرضها العولمة ومتطلبات
العيش المشترك.

ولما كانت الجامعة مؤسسة علمية وتنموية بامتياز؛ فإنها تظل المحضن
الأساسي المعوّل عليه في إعداد الكوادر البشرية المؤهلة علمياً ومعرفياً.
إضافة إلى دورها المحوري في ترسيخ الوحدة الوطنية، وغرس منظومة
القيم والتقديرات المجتمعية الأصيلة في نفوس الطلاب والباحثين،
وتوجيه مواقفهم نحو اتجاهات إيجابية واعية؛ انطلاقاً من إدراك تام بأن
الطلبة الجامعيين هم عماد الوطن، وثروته الحقيقية، والوسيلة الفاعلة
للتنمية الشاملة وغايتها الكبرى.

وبناء عليه، جاءت المراسلة رقم (109/2026) الصادرة عن المديرية العامة للتعليم والتكوين، بوزارة التعليم العالي الجزائرية، المؤرخة في (1) جويلية (2026م)، والمتضمنة إدماج مادة "الوطنية والمواطنة" ضمن البرامج البيداغوجية لمختلف ميادين التكوين.

وتأكيداً على أن الانتماء الوطني والاندماج المجتمعي هو الركيزة الأساسية لاستقرار الدول وازدهار الحضارات؛ نضع بين يدي القراء عموماً والطلاب خصوصاً هذا العمل العلمي، الذي يعالج هذه القضية من خلال ثلاثة أبحاث مترابطة ومنهجية؛ تسعى إلى تأصيل مفهوم المواطنة، واستجلاء أبعاده في الفكر الإسلامي، وصولاً إلى تقديم رؤية عملية فاعلة لتكريس قيم المواطنة في المجتمعات المعاصرة.

وجاءت هيكلة العمل في ثلاثة أبحاث كالآتي:

البحث الأول: "مفهوم المواطنة ومقومات الوطنية في الإسلام"؛ حيث يركز على التأسيس النظري والمفاهيمي لمصطلحي "المواطنة" و"الوطنية"، من خلال تتبع جذورهما اللغوية والاصطلاحية (الإسلامية والغربية)، واستعراض أبعادها وتحليلاتها المختلفة. كما يسلط الضوء على مقومات الوطنية ومرتكزات الانتماء للوطن، وشروط المواطنة الفعالة، ودور التربية الوطنية والتنوع الثقافي في تعزيز تماسك المجتمع.

البحث الثاني: "المواطنة في الفكر الإسلامي اتجاهاتها وأبعادها"؛
حيث يلج إلى عمق الفكر الإسلامي؛ لدراسة كيفية تعامل المدارس
الفكرية المعاصرة مع هذا المفهوم، وتحديد الاتجاهات المختلفة في تكييفه
وتجسيده، مع عقد موازنة تحليلية دقيقة بين اتجاهات المواطنة في الفكر
الإسلامي ونظيرتها في الفكر الغربي. كما يعالج الأبعاد القانونية،
والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية للمواطنة من منظور
إسلامي أصيل.

البحث الثالث: "نحو تفعيل قيم المواطنة في المجتمعات المعاصرة -
رؤية إسلامية -"، حيث يتوج الأبحاث السابقة بطابع عملي تطبيقي؛
فيبدأ ببلورة المفهوم الإسلامي الشامل للمواطنة، ثم يشخص بوعي
تحديات المواطنة في المجتمعات المعاصرة. ويمضي بعد ذلك لاستخراج
الأسس الشرعية لتفعيل هذه القيم، ليختتم بتقديم مقترحات ورؤى
عملية قابلة للتطبيق تسهم في ترسيخ قيم المواطنة الفاعلة في واقعنا
المعاصر.

هذا، وتعتمد هذه الأبحاث على المنهج التحليلي والنقدي والمقارن؛
لاستنباط الأحكام والرؤى من مصادر التشريع والفكر الإسلامي،
ومقارنتها بالواقع المعاصر والمفاهيم الوافدة؛ بقصد بناء إطار معرفي
متوازن يعزز من قيم الانتماء والتعايش السلمي، ويحقق مقاصد الشريعة

الإسلامية في حفظ العمران البشري وتحقيق العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية.

ومن الجدير بالذكر، أن الأبحاث الثلاثة المذكورة سبق تقديم أصولها في تظاهرات علمية أكاديمية وطنية ودولية، ونشرت ضمن أعمال تلك التظاهرات.

نسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

أ.د. إبراهيم رحمانى

أستاذ أصول الفقه والفقه المقارن

عميد كلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي - الجزائر

الاثنين 05 ربيع الأول 1448 هـ الموافق 17 أوت 2026م

مدينة وادي سوف - الجزائر

rahmani-brahim@univ-eloued.dz

البحث الأول

مفهوم المواطنة

ومقومات الوطنية في الإسلام (*)

(*) أصل هذا البحث مقدّم للملتقى الوطني: "الوطنية والمواطنة في الإسلام"، المنظم من قبل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف "أسبوع القرآن الكريم" أيام (15 - 17) ربيع الأول (1431هـ) الموافق لـ (01 - 03) من شهر مارس (2010م)، دار الإمام "سيدي عبد الرحمن الثعالبي" - المحمدية - الجزائر العاصمة. ونشر في مجلة "رسالة المسجد"، السنة (8)، العدد (4)، ربيع الثاني (1431هـ)، أفريل (2010م)، ص (25-46).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يظهر أنّ في اختيار وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر لموضوع: "الوطنية والمواطنة في الإسلام" عنواناً لملتقى علمي في إطار فعاليات "أسبوع القرآن الكريم" أكثر من دلالة؛ إذ يعتبر موضوع الراهن في المشهد الثقافي والسياسي، وأصبح له حضورٌ قويٌّ وطرحٌ متجدّدٌ لدى شرائح بحثية متعدّدة، لاسيما أنّ هناك تجاذباتٍ كثيرةٍ تتنازعُهُ في الداخل والخارج. ومن جهة أخرى يبدو أنّ هناك التباساً نظرياً وعملياً بشأنه لدى فئات اجتماعية عريضة، لاسيما في مواقف التيارات الفكرية والسياسية والجماعات الدينية المختلفة.

ولعلّ أخطر ما في المسألة أنّ إشكالية المواطنة لدى البعض، تولّد عنها مسلك يسعى لأنّ يحفر في أساسات الدولة والهوية، الأمر الذي يعجّل بضرورة إدارة حوارات فكرية ومعرفية حول الوطنية والمواطنة، ووضع النقاط على الحروف، لتجاوز جميع أشكال التأزم الذي يؤدي في أغلب الأحوال إلى التشطي، وتفتيت مقومات الهوية، وتكريس حالة التشرذم. يستدعي إدراك مفهوم المواطنة في الفلسفة العربية الإسلامية تتبع تطورها في الفكر الإسلامي، من خلال ما جاء به القرآن الكريم، والسنة

المطهّرة، وما أكدته آراء بعض المفكرين المسلمين الذين تنبّهوا لأهمية هذا المفهوم في الفكر والممارسة. ثم بيان طرق استثمار الوطنية والمواطنة في تحقيق أكبر قدر من المصالح العامة، بما يعود على البلاد والعباد بالتنمية والرّخاء، ويجنبها شرور التقهقر والضياع.

وسوف نقدّم في هذه الصفحات المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم المواطنة. وفيه:

أولاً: المواطنة في اللغة.

ثانياً: المواطنة في اصطلاح المسلمين.

ثالثاً: المواطنة في اصطلاح الغرب.

رابعاً: أبعاد مفهوم المواطنة.

خامساً: تجليات المواطنة.

المطلب الثاني: مقومات الوطنية. وفيه:

أولاً: مرتكزات الانتماء للوطن.

ثانياً: نتائج انكماش الشعور بالانتماء الوطني.

ثالثاً: مضمون التربية الوطنية.

رابعاً: صفات المواطن الفعال.

خامساً: شروط المواطنة.

سادساً: التنوع الثقافي والتربية الوطنية.

.أهم التوصيات.



المطلب الأول: مفهوم المواطنة

يختلف مفهوم المواطنة تبعاً للزاوية التي نتناولها منها، وتبعاً لهوية من يتحدث عنها، وتبعاً لما يراد بها.

أولاً: المواطنة في اللغة:

تطلق المواطنة في اللغة العربية على معان ثلاثة هي⁽¹⁾:

(1). الموافقة: قال الزمخشري (ت538هـ): «وَاطَنَتْهُ عَلَى الْأَمْرِ وَافَقَتْهُ». قال ابن منظور (ت711هـ): «وَاطِنٌ عَلَى الْأَمْرِ أَضْمَرَ فَعْلُهُ مَعَهُ، فَإِذَا أَرَادَ مَعْنَى وَافَقَهُ؛ قَالَ: وَاطَّأَهُ».

(2). الإقامة في مكان ما، سواء أكانت الإقامة دائمة أم مؤقتة. قال الفيروزآبادي (ت817هـ): «الوطن: منزل الإقامة... والجمع أوطان... وأوطنه ووطنه واستوطنه: اتخذها وطناً. ومواطن مكة موافقها، ومن الحرب مشاهدتها، وتوطن النفس تمهيداً».

(3). حُبَّ المكان الذي يقيم فيه الإنسان. قال الزمخشري (ت538هـ): «وطن: كلُّ يحبُّ وطنه، وأوطان وموطن ومواطنة، والإبل تحنُّ إلى أوطانها. ومن المجاز استعمالها في مرابض الغنم ومشاهد القتال».

(1) «تهذيب اللغة»، الأزهري (424/4)؛ «أساس البلاغة»، الزمخشري ص(487)؛ «لسان العرب»، ابن منظور (451/13) كلهم في مادة: «وطن».

والظاهر أن تلك المعاني الثلاثة تندرج ضمن ما استقرّ عليه مجمع اللغة العربية في تعريف الوطن بأنه: مكان إقامة الإنسان ومقرّه، وإليه انتماءه ولد به أم لم يولد.

أما كلمة واطن بمعنى: أن يعيش مع قوم في وطن واحدة ففي «المعجم الوسيط»⁽¹⁾ أنها محدثة، بمعنى أنها جديدة في هذا الاستعمال.⁽²⁾

ثانياً: المواطنة في اصطلاح المسلمين:

لما كانت المواطنة ترجع في اللغة إلى الوطن الذي فيه الإقامة وإليه الانتماء، فقد عرفت «الموسوعة العربية العالمية» الوطنية بأنها «تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن. ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة».⁽³⁾

كما تعرف بأنها «الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملاً قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعاً عنهما».⁽⁴⁾

(1) «المعجم الوسيط»، مجموعة من المؤلفين (1042/2).

(2) ينظر: «المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين - دراسة فقهية نقدية»، د. صلاح الدين سلطان، ص (11 - 13).

(3) «الموسوعة العربية العالمية»، مجموعة من الباحثين (113/27).

(4) www.albyan.com.

وبناء عليه فللمواطنة في الوعي الفكري والشعوري لدى المسلمين
اتجاهان:

الأول: شعوري عاطفي يتصل بالجوانب الذاتية، الخاضعة للانفعال
الداخلي بالأشياء القريبة إلى عاطفته المتصلة بمكامن الإحساس الذاتي في
كيانه.

وإذا استنطقنا القرآن الكريم، نجد أن كثيرا من آياته تقرر بالجانب
العاطفي، الناتج عن الارتباط بين الإنسان والأرض التي يقطنها،
فيتحدث عن ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾
[الحج 40]، وعن ﴿إِنَّمَا يَنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَاتِلُكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُكُمْ مِّنْ
دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
﴾ [الممتحنة 9] في لفظة إيحائية إلى الجانب العميق من العاطفة التي تشد
الإنسان إلى موطنه بحيث يكون الإخراج منه أو المناصرة عليه مشكلة
كبيرة قد تبرر الحرب أو المقاطعة ونحو ذلك.

وفي سنة النبي ﷺ ما يؤكد ذلك من خلال تصريحه بشدة تعلقه بمكة
المكرمة وأنه ما كان ليخرج منها لولا أن أهلها أخرجوه.

هذا، وإن الارتباط العاطفي بالوطن يستتبع بالضرورة صورا متعددة
من العلاقات الاجتماعية القائمة داخل الوطن، والتي تجعل من ذلك
الارتباط عامل قوة وتآزر.

إن «الأمم والشعوب التي لا تربطها روابط عاطفية من أي نوع، والتي تقوم العلاقات بين أفرادها وجماعاتها إلا على المصلحة فقط لا يكون لها في الغالب دوام بقاء، كما لا يكون لها تقدم عمراني مذكور؛ ذلك لأن الروابط العاطفية من شأنها أن تعصم الجماعات والمجتمعات من الانحلال عندما تتضارب مصالحها، وتحفظ كيانها عندما تعصف بها عواصف الشهوات المادية ولو إلى حين تؤوب فيه إلى رشدها، وتقيم بينها ميزان العدل والسلم بدل ميزان الفتنة والظلم».⁽¹⁾

أما الاتجاه الثاني فسياسي، يلتقي بالمضمون القانوني للأرض في حدودها الجغرافية الدستورية، وينفتح بهذا المعنى في تلك الحدود عن مجموعات بشرية مختلفة من حيث المذهب، الاتجاه، اللغة، والقومية... ونحو ذلك، ولكنها تتوحد في ظل هذا الوطن وفقا لما يحدده القانون من حقوق وواجبات.

ولقد أدرك المسلمون الأوائل هذا المعنى للمواطنة من خلال النصوص القرآنية، التي جاءت لتأكيد قيم العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات، وذلك إما بإقرارها من خلال القرآن الكريم، أو بتأكيدها من خلال بعض الممارسات التي كانت سائدة بمشاركة القبائل

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، د. عبد المجيد النجار، ص(172).

العربية قبل مجيء الإسلام، كحلف الفضول، ومجلس الملاء... الخ⁽¹⁾، وهي قيم ارتبطت بالحقوق في الإسلام، بنيت على أساس حرية الرأي، باعتبارها أساس الحريات الفكرية، وأساس الكثير من القواعد والأصول الشرعية كالقياس والإجماع، وهي بالتالي ضرورة للتصدي لأي انحراف في النظام العام للدولة، وما يتطلبه ذلك من جرأة، وشجاعة، وصراحة في الحق⁽²⁾.

ولما كان ظاهراً وجود ارتباط قوي بين المنهج الإسلامي والوطن؛ إقامة الدين لا تتأتى إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا، وأصبح الانتماء الوطني بعداً من أبعاد الانتماء الإسلامي العام... فالوطن ضرورة لإقامة دنيا الإسلام وعمرانه، وضرورة الدين ليكون الوطن إسلامياً وتحقق إسلامية عمرانه⁽³⁾؛ فإن بعض المتتمين إلى تيارات فكرية تغريبية يعتقدون أن الإسلام ينكر مفهوم المواطنة، ويحرم غير المسلمين من حق المواطنة في حالة إقراره به، لأنه - حسب ظنهم - يستند إلى مفهوم الأمة القائمة على أساس ديني، ويلغى ما سواها، ويدعو إلى وحدة دينية مطلقة.

(1) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة، الكواري وآخرون، ص(19)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(5).

(2) «حقوق الإنسان وحرياته الأساسية»، هاني سليمان الطعيات، ص(208)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(5).

(3) «معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام»، محمد عمارة، ص(194-195).

غير أن هذا الرأي لا يستند إلى أساس صحيح؛ فالإسلام بدعوته إلى المساواة وتحقيق العدالة والتكريم للإنسان لا يميز ولا يفصل بين الناس. ولما يقرر تمييز المسلمين بكونهم أمة فإنما ذلك على أساس من التكاليف الشرعية المطالبين بها وفقا للانتماء العقدي: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]. وهذا الانتماء للأمة لا يلغي به الانتماء للأسرة والعشيرة والقبيلة والشعب. ومن ثم فعلاقة الانتماء تقوم على التكامل لا التناقض والإلغاء. فالإسلام لا يلغى الوطنية بما هي علاقة انتماء إلى وطن أو القومية بما هي علاقة انتماء إلى أمة بل يحددهما فيكملهما ويغنيهما. وطبقا لهذا فإن الإسلام يقرر أن انتماء المسلمين إلى الأمة الإسلامية لا يلغى انتمائهم إلى أمهم.⁽¹⁾

ولعله من المستغرب أن نجد المفكر الإسلامي د. محمد سليم العوا يقول: «نصت وثيقة دستور المدينة على اعتبار الإسلام أساسا للمواطنة في الدولة الإسلامية الجديدة التي قامت في المدينة المنورة. وأحلت الوثيقة الرابطة الدينية محل الرابطة القبلية فعبرت عن المسلمين بأنهم "أمة من دون الناس..."»⁽²⁾.

فهذا القول لا يمكن التسليم به إلا ضمن إطار المرجعية التشريعية في

(1). <http://www.mugrn.net/vb/showthread.php?t=26731>

(2) «في النظام السياسي للدولة الإسلامية»، د. محمد سليم العوا، ص (57).

مجتمع دولة المدينة والتي تقوم على أحكام الإسلام في تحديد الحقوق والواجبات. أما في الانتماء للدولة وتحمل الالتزامات والاستفادة من الحقوق فهي لجميع المقيمين بالمدينة المنورة. كما أن الإسلام لم يبلغ الرابطة القبلية، إلا بمعناها السلبي القائم على العصبية الجاهلية.

ولعل ما يؤكد المعنى المذكور ويزيل الالتباس قوله بعد أسطر قليلة في الصفحة نفسها: «ولم تحصر وثيقة المدينة المواطنة في الدولة الإسلامية الأولى في المسلمين وحدهم. بل نصت على اعتبار اليهود المقيمين في المدينة من مواطني الدولة وحددت ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات...»⁽¹⁾.

وهذا يتبين أن الإسلام لا يمنع أحدا من أتباعه أن يألف بعض الأشياء التي تحيط به، لتتحول الألفة إلى علاقة في الذات، وبالتالي إلى حالة عاطفية تنحو وتهفو وترق وتفتح على كل مفردات الأرض والناس والأشياء؛ لأن الله لا يريد للإنسان أن يتعقد في عاطفته، ما دامت المسألة مقتصرة على جانب الإحساس العاطفي، فإذا اقتربت من مواقع الانحراف بهذه العاطفة والجنوح إلى الظلم والتعسف، وتنتقل إلى التأثير السلبي على الخط العملي في الحياة، فإن الإسلام يردّها إلى الخط المستقيم (شريعة)، بالعمل على عقلنة العاطفة وضبطها، وبالتالي تحريكها في الدائرة

(1) «في النظام السياسي للدولة الإسلامية»، د. محمد سليم العوا، ص (57).

الإسلامية بعيدا عن خط الضلال والانحراف.

ثالثا: المواطنة في اصطلاح الغرب:

عرفت "دائرة المعارف البريطانية" المواطنة بأنها: "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة...وأنها تسبغ المواطن حقوقا سياسية كحق الانتخاب وتولي المناصب العامة".⁽¹⁾

وتعرف "موسوعة كولير الأمريكية" كلمة (Citizenship) أنها أكثر أشكال العضوية اكتمالا في جماعة سياسية، فهي لا تختلف عن مفهوم الجنسية⁽²⁾، وتعرفها "موسوعة الكتاب الدولي" أنها عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم تؤكد حقوق المواطنين كحق الانتخاب وتولي الوظائف والمناصب العامة، وعليهم بعض الواجبات كدفع الضرائب والدفاع عن بلدهم.⁽³⁾

والظاهر من هذه التعريفات أنها تعبر عن الاتجاه الثاني في النظر للمواطنة عند المسلمين، والتي تقوم على البعد الجغرافي القانوني وتغفل

(1) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة، الكواري وآخرون، ص(30)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(14).

(2) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة، الكواري وآخرون، ص(31)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(14).

(3) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة، الكواري وآخرون، ص(31)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(14).

الاتجاه الأول الشعوري العاطفي.

ضف إلى ذلك أن منظومة الحقوق والواجبات تختلف من نظام سياسي إلى آخر، والذي قد يبرز مظاهر الاختلاف أكثر في تجليات المواطنة بيننا وبين الغرب اختلاف مصادر للقانون المحدد للحقوق والواجبات في إطار الدولة الوطنية.

أما مصطلح المواطنة فيعني الوضعية القانونية التي يتخذ الفرد بفضلها ماهيته كإنسان سياسي، فهي تمنحه صفة تشريعية أصلية تلقي على عاتقه دورا معيناً في آلية الفعل السياسي ضمن إطار الدولة، فهي قائمة على مجموعة محددة من الأطر القانونية والأسس النظرية التي تحكم أصول العلاقات العامة بين الأفراد من ناحية وبينهم وبين المؤسسات من ناحية أخرى.⁽¹⁾

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدداً من الباحثين العرب الذين اهتموا بأسباب تعثر النهوض العربي وضعوا تصوراتهم السياسية، على شاكلة نهضة الدول الغربية من حيث رفع شعارات الحرية والمساواة والديمقراطية وحقوق الإنسان.

وفي هذا الاتجاه نجد مساهمة المفكر العربي برهان غليون الذي أشاد

(1) «التربية على المواطنة وشروطها في الدول المتجهة نحو الديمقراطية»، أدونيس العكر، ص(18) و(19)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(15).

بمبدأ المواطنة كتحالف وتضامن بين أناس أحرار، متساويين في الدور والمكانة والقرار، يتمتعون بحقوقهم دون تمييز لدرجة مواطنتهم، وأهليتهم العميقة، فهي كما يقول " قاعدة التضامن والتماهي الجماعي، ومصدر الحرية كقيمة مؤسسة وغاية للجميع ولكافة الأفراد معا".⁽¹⁾

في حين ذهب آخرون إلى أن مفهوم المواطن، يأخذ معناه من الوطن بأوسع معانية: حماية وإقامة، وتعليها، وحقا في الحكم والتوجيه، وهذه المعاني تتصل بالمفهوم الأسمى للإنسان فتصبح المواطنة مفاعله بين اثنين وقد يصبحون عشرات أو مئات يتقاسمون الحقوق والواجبات والانتماءات، ليؤكدوا في النهاية أن الأوطان التي استقامت فيها المواطنة سارت فيها الحياة نحو الأسمى.⁽²⁾

كما ذهب البعض إلى التفريق بين نوعين من الحقوق: حقوق الإنسان وحقوق المواطن، فإذا كانت حقوق الإنسان ترتبط بالجوانب الشخصية، وتسمى بالحقوق المدنية فإن حقوق المواطن ترتبط بالمشاركة الايجابية في الحكم، وتسمى بالحقوق السياسية.⁽³⁾

(1) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة، الكواري وآخرون، ص(34)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(8).

(2) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة، الكواري وآخرون، ص(36)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(8).

(3) «نشأة مبدأ المواطنة في مصر» وليم سليمان فريدة، القاهرة: المواطنة، ع 01، 1998، ص(25)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(9).

ومهما يكن الأمر فإن المواطنة ترتبط بوعي الإنسان بوجوده داخل وطنه، على أنه أصيل في بلده ليس مجرد مقيم يخضع لنظام معين، هذا الوعي بالمواطنة يعتبر نقطة البدء في تشكيل نظرته لنفسه ولبلاده ولشركائه⁽¹⁾، فعلى أساس "المشاركة يكون الانتماء للوطن ومن خلالها تأتي المساواة... وللمواطنة ثلاثة أركان: الانتماء للأرض، المشاركة، المساواة".⁽²⁾

وعموماً يمكن القول بأن هناك اتجاهان لإيجاد مفهوم المواطن⁽³⁾: اتجاه ذا بعد جغرافي ينصب على الفرد في علاقته ببقعة أرض عاش وشب فيها وتفاعل مع مجموع مواطنيها وهذا الاتجاه يسمى المواطنة، فهو ينصب على الموطن (الموقع الجغرافي) مكان الولادة ومكان الاستقرار أما الاتجاه الثاني فهو ذا بعد اجتماعي، وينصب على جملة المصالح المادية والمعنوية للجماعة ككل ويسمى بالمواطنة، وأساسها الوطن (البعد الجماعي) أي مدى إحساس الجماعة بالانتساب إلى قطعة أرض معينة وشعورهم بالانتماء إليها، إلا أن هذا التمييز بين المواطنة والمواطنة ليس

(1) «نشأة مبدأ المواطنة في مصر» وليم سليمان قلادة، ص(11)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(15).

(2) «نشأة مبدأ المواطنة في مصر» وليم سليمان قلادة، ص(11)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(15).

(3) «في التربية والسياسة: متى يصير الفرد في الدول العربية مواطناً؟»، ناصيف نصار، ص(16)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(15).

جامداً ولا قاطعاً؛ إذ إنّ خصائص كل منهما ومستلزماتها تتداخل مع الأخرى ويستعملان على الترادف، فالمواطن يمكن أن يكون المشارك في الوطن والموطن، وبالتالي يستوعب كل منهما الآخر.⁽¹⁾

إنّ التماهي في إطار الجماعة الوطنية والتفاعل داخلها والمشاركة في صناعة قوانينها هي العملية التي من شأنها أن تجسد مفهوم المواطنة، فالمواطنون هم الذين يضبطون مسيرة الوطن ويصنعون القانون، والقانون هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة، وبالتالي فإن اختيار نظام الحكم يعتبر المظهر الأول للمواطنة.

رابعا: أبعاد مفهوم المواطنة:

يقوم مفهوم المواطنة على ثلاثة أبعاد هي:

▣ **البعد القانوني:** ويقوم على تنظيم العلاقة بين الحكام والمحكومين استنادا إلى عقد اجتماعي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع.

▣ **البعد الاقتصادي الاجتماعي:** يستهدف إشباع الحاجيات المادية الأساسية للبشر ويحرص على توفير الحد الأدنى اللازم منها ليحفظ كرامتهم وإنسانيتهم.

(1) «في التربية والسياسة: متى يصير الفرد في الدول العربية مواطناً؟»، ناصيف نصار، ص(16)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(16).

▣ البعد الثقافي الحضاري: ويعنى بالجوانب الروحية والنفسية والمعنوية للأفراد والجماعات، على أساس احترام خصوصية الهوية الثقافية والحضارية، ويرفض محاولات الاستيعاب والتهميش والتنميط.

خامسا: تجليات المواطنة:

يمكن اعتبار المواطنة كمجموعة من القيم والنواظم لتدبير الفضاء العمومي المشترك ويمكن تحديد أهم تجليات المواطنة في أربعة نواظم:

1- الانتماء: أي شعور الإنسان بالانتماء إلى مجموعة بشرية ما وفي مكان ما (الوطن) على اختلاف تنوعه العرقي والديني والمذهبي، مما يجعل الإنسان يتمثل ويتبنى ويندمج مع خصوصيات وقيم هذه المجموعة.

2- الحقوق: التمتع بحقوق المواطنة الخاصة والعامة كالحق في الأمن والسلامة والصحة والتعليم والعمل والخدمات الأساسية العمومية وحرية التنقل والتعبير والمشاركة السياسية...

3 - الواجبات: كاحترام النظام العام والحفاظ على الممتلكات العمومية والدفاع عن الوطن والتكافل والوحدة مع المواطنين والمساهمة في بناء وازدهار الوطن.

4- المشاركة في الفضاء العام: المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية (الانتخاب والترشيح) وتدير المؤسسات العمومية والمشاركة في كل ما

يهم تدبير ومصير الوطن⁽¹⁾.



المطلب الثاني: مقومات الوطنية

أولاً: مرتكزات الانتماء للوطن:

يمكن حصر الركائز الأساسية التي يقوم عليها الانتماء للوطن فيما يلي:

1 - الأفراد الذين يشغلون حيزاً ومكانة في بناء المجتمع، ترتبط هذه المكانة بمجموعة من الأدوار التي ينظم أدائها في حزمة من الحقوق والواجبات.

2 - مبدأ المساواة بحيث يتمتع الأفراد بكافة الحقوق ويقومون بكافة الواجبات.

3 - المضامين الثقافية والاجتماعية الراسخة تاريخياً والمثبتة دستورياً، من طرف الدولة وهيئات المجتمع المدني.

4 - المشاركة السياسية الفاعلة والمؤثرة إحدى الركائز والدعائم الأساسية لتأكيد مفهوم المواطنة الكاملة.

وعليه، يمكن القول أن المواطنة تقوم على قواعد ثلاث:

(1) المساواة بين جميع أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات، دون تمييز

(1). <http://www.almichaal.org/spip.php?article289>

بسبب الثقافة أو اللون، أو العرق، أو اللغة.

(2) المشاركة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وذلك من خلال إتاحة الفرص للجميع بعيداً عن التمييز والتعصّب.

(3) الولاء بأن يدين كل شخص بولائه لوطنه، وذلك من خلال فعاليته وحركيته الاجتماعية وفق ما يكفله الدستور من حقوق وواجبات. وإذا كان معامل الوطنية يزداد وينقص تبعاً لوجود الوعي بأهمية المواطنة، على أساس تمتع الفرد بحقوقه في مجتمع ما من جهة، ومدى إيمانه بضرورة فعاليته في إطار الشراكة المجتمعية في المشروع النهضوي التنموي من جهة ثانية، وبالتالي اضطلاع الفرد بمسؤولياته للوفاء بحق الوطن وتحمل مسؤولياته تجاهه، ولهذا فإن شعور الفرد ودوافعه لها الدور الأساسي في إمكانية اندماجه لتحقيق دولة الرفاه والمشروع الحضاري، ولذا لا بد من توضيح أهمية انتفاءات الفرد، وإبراز قيمه الأساسية على اعتبار أنها تشكل الدافع المؤثر لتحقيق المواطنة الفاعلة.

كما أن ارتباط المواطنة بالخبرة التاريخية من شأنه أن ينمي إحساس الأفراد بالأهداف العامة للجماعة الوطنية، ومن ثم تحقيق المشروع الوطني للتنمية، وإعلاء حق الوطن قبل حقوق الأفراد، والإحساس بالتطور والنمو داخل الدولة الوطنية، وهذا ما يفسر العلاقة بين قيم

المواطنة وتدرّجها لفهم حقيقة وجود الإنسان داخل مجتمعه.⁽¹⁾

ثانيا: نتائج انكماش الشعور بالانتماء الوطني:

إنّ الشعور بانعدام القيمة والمكانة والدور في المجتمع، من شأنه أن يكرّس حالة من الاغتراب، تأخذ أبعاداً اجتماعية خطيرة، منها⁽²⁾:

1 - انعدام القوة: عدم تمكّن الفرد من التأثير على مستوى المواقع والمواقف المحيطة به.

2- فقدان المعنى: عجز الفرد عن الوصول إلى قرار، أو معرفة ما ينبغي فعله.

3 - فقدان المعايير: وتعني التجاء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة لتحقيق أهدافه.

4 - العزلة: انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائدة، وتبني مفاهيم مخالفة، مما يعني أن الفرد غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة.

5 - غربة الذات: إدراك الفرد أنه أصبح مغتربا حتى عن ثقافته ومبادئه، وبالتالي عن أهدافه وقيمه.

(1) «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(23).

(2) «قيم المواطنة من خلال تمثيلات الشباب»، فرّار جمال، ص(83)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(25-26).

وبناء عليه؛ يجب ترسيخ معاني الوطنية لدى الأفراد تربويًا وثقافيًا. واستثمار البعد الديني القائم على رعاية المصالح العامة، وحفظ مقاصد التشريع التي تتطلب في جميع مراتبها انتماء راسخا إلى حوزة الإسلام وأهله، ودفاعًا مستميتًا عن حرمة الأوطان بما يضمن حماية دين الأمة، وأنفسها، وأعراضها وعقولها وأموالها وجميع مقدراتها.

ثالثا: مضمون التربية الوطنية:

يمكن تلخيص مضمون التربية الوطنية في العناصر الآتية⁽¹⁾:

- (1) عملية تربوية تهيئية مستمرة.
- (2) تغليب الانتماء الوطني على الانتماءات الفرعية الأخرى.
- (3) مشاركة كافة فئات المجتمع وفقا لمنطق المسؤولية السياسية.
- (4) المساواة أمام القانون في الحقوق السياسية.
- (5) حرص سلطة الدولة على إرادة الخير المشترك لجميع المواطنين.
- (6) النظر وفق مبدأ التوازن في الحقوق والواجبات (للفرد والدولة على السواء).
- (7) التطوير المستمر لمحتوى نظام الحقوق والواجبات المتبادلة بين المواطنين والدولة بما تقتضيه المصالح من تطور وتنوع.

(1) «مفهوم المواطنة»، شبل بدران، القاهرة: الهلال، ع 01، يناير 2006، ص (86-87)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص (28).

مما سبق يتضح بأنّ المواطنة الصالحة هي التي تجمع بين خصائص المواطن الصالح المتشبع بروح التربية الأخلاقية والحياة المدنية، وكذا التربية والإعداد للمستقبل.

رابعاً: صفات المواطن الفعال⁽¹⁾:

1 - الإسهام الفعال في بناء المجتمع، واتخاذ قرارات عقلانية في مواجهة مشكلاته.

2 - امتلاك مهارات التفكير اللازمة للتكيف مع حضارة العصر والتعايش معها.

3 - معرفته لتراث المجتمع، وقيمه ومعتقداته ونظمه.

4 - المشاركة الكاملة للحياة السياسية والاجتماعية.

5 - التزود بمهارات التحليل والتعليل والاستقصاء، لمواجهة مشكلات المجتمع المختلفة.

6 - الالتزام بالمحافظة على انجازات المجتمع وتطوره.

7 - تقدير الحرية والعدالة والمساواة.

8 - القدرة على التفكير الناقد وتقديم الرؤى الخلاقة.

(1) «القيم ومسؤوليات المواطنة»، عبد الودود مكروم، ص(328).

خامسا: شروط المواطنة

إن التطلع للمواطنة الحقبة يتطلب تأهيل المواطن وتنميته انطلاقا من واقع الجماعة الوطنية، وفق شروط أساسية أهمها⁽¹⁾:

1. التربية على المواطنة عملية تكوينية مستمرة تبدأ بإقرار الدستور لمفهوم المواطن، ثم تستمر المؤسسات التربوية في تشكيل هذا الأخير.
2. تغليب الانتماء إلى الجماعة الوطنية وكيانها على أي انتماء سياسي جزئي آخر داخل الدولة نفسها.
3. ينبغي النظر إلى مواطني الدولة على أنهم كائنات حرة عاقلة، وأن نظام الحقوق والواجبات هو من صنع هؤلاء المواطنين أنفسهم.
4. في التربية على المواطنة يكون جميع المواطنين متساوين أمام القانون، انطلاقا من العدل كقاعدة أخلاقية وشرط لضمان تحقيق وحدة الجماعة الوطنية.

5. سلطة الدولة محصورة في نطاق الخير المشترك لأعضاء الدولة كأفراد وجماعات، وكل مواطن له الحق في التعبير عن رأيه الخاص به، مما يقتضي احترام تعدد الثقافات، والاعتقادات والتعامل معها كظاهرة تنوع وتعدد

(1) «في التربية والسياسة: متى يصير الفرد في الدول العربية مواطنا؟»، ناصيف نصار، ص(48)-

(52)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(124).

تفضي إلى الخير العام المشترك.

6. الاهتمام المتوازن بحقوق وواجبات المواطن، وكذا الأمر بالنسبة لحقوق وواجبات الدولة وذلك لأن الاهتمام بحقوق المواطن ستستفيد منه التربية على المواطنة في رد سلطة الحكم إلى مصدره (المواطن)، وأن هذا التوازن ليس مشتقا من فضيلة الاعتدال وإنما من المنطق الداخلي للمواطنة.

7. تستلزم التربية على المواطنة تطورا مستمرا لمحتوى نظام الحقوق والواجبات المتعلقة بالدولة والمواطن، حيث يتعمق وعي المواطن بوحدة الحياة والمصير المشترك الذي يجمع المواطن بالدولة.

التربية على المواطنة في حقيقتها ممارسة مستمرة تتضمن موضوع تربية وتعليم، وفي ذات الوقت هي عملية حركية مع الزمن تتفاعل فيها مجموعة من المعارف والقيم المرجعية مع الممارسة الواقعية، لتحقيق الولاء في شتى الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية انطلاقا من القيم الذاتية⁽¹⁾.

سادسا: التنوع الثقافي والتربية الوطنية

تقوم التربية الوطنية بتشكيل هوية الفرد، وبناء ثقافته التي تندمج

(1) «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(126).

وتنصهر فيها كل الثقافات الفرعية الأخرى، فتتشكل بذلك درجة من الوعي بالشأن الوطني، والبنية الاجتماعية والسياسية للدولة، والوضع الاقتصادي المعيشي السائد، والمرجعية الفكرية والثقافية للدولة، وبقدر ما تكون نجاعة هذه التربية بقدر ما يكون تشكيل الفرد المواطن الصالح. ويعتبر التنوع الثقافي مصدر قوة وإغناء وثراء للذاكرة الجماعية⁽¹⁾، وتقوم التربية الوطنية بدور مركزي في تحقيق هذا الثراء الذي يتمثل في ضرورة:

أ. الاعتراف بالتنوع الثقافي واحترامه: فيكون التركيز على الكرامة الإنسانية وقيمة الإنسان مهما كان انتهاؤه وثقافته.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء 70].

وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات 13].

ب. تشجيع التكافل والتلاحم الاجتماعي: وذلك من خلال قيام الأفراد وهيئات الدولة ومؤسساتها بتلبية حاجات من يعاني خصاصة مادية بتوفير حد الكفاية من ضرورات الحياة حفظا للكرامة الإنسانية،

(1) «الدين والاثنية والتوجهات الإيديولوجية في العراق من العمل إلى التكامل»، فالح عبد الجبار، ص (24)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص (133).

وكذا من الناحية المعنوية بالمواساة عند الشدائد والكروب.

وهذا التكافل من شأنه أن يحافظ على الكيان الاجتماعي قويا ويسر على الفرد القيام بمهمة التعمير. فإذا ما فشا الضعف بشيوع الاحتياج والتشرد والتهميش فإنه ينعكس خطرا محدقا بالبنیان الاجتماعي. ذلك أن الشعور بالحرمان والغبن قد يؤدي إلى مظاهر سلوكية خطيرة من الاعتداء والنزاع، وقد يؤدي إلى الفتنة التي تذهب بالوحدة الوطنية.⁽¹⁾

ومن ثم كان مسلك التلاحم والتكافل قاطعا لأسباب التشرد بما يوفره من سبل التراحم والتقارب داخل المجتمع.

وتحقيقا لمقصد حفظ المجتمع جاء الإسلام في نطاق العلاقات الاجتماعية فشرع التكافل على سبيل الأمر الواجب منذ بدايات الوحي الأولى في العهد المكي:

قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون 3.1]. وقال أيضا: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد 11-16].

وهذا كله مؤشر على أهمية وحدة الرابطة الاجتماعية ودورها في حفظ

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، د. عبد المجيد النجار، ص(176).

المجتمع ومقاصد التشريع. وقد امتد هذا التوجه في مختلف مستويات التكليف الفردي والجماعي من خلال تشريع جملة من الحقوق لصالح ضعفاء المجتمع بشكل دوري ثابت يضمن تحقيق الهدف كأحكام النفقة والزكاة وحقوق الجوار ونحو ذلك.⁽¹⁾

ج. تشجيع العدل والمساواة في الحظوظ للجميع: وتشمل كل الأنشطة والبرامج والحقوق والواجبات والفرص والامتيازات.

ذلك أن تحقيق المساواة يورث في النفوس الرضا عن الشركاء في المجتمع، وانتماء قويا للوطن، ودفعاً نحو العمل الصالح. أما التفریط في تحقيق ذلك فإنه يورث في النفوس الحقد، لما يحدثه من شعور بالظلم، كما يورث الزهد في الانتماء لهذا الوطن ومصالحه. ويتولد عن هذا ارتقاء في الشعور بالانتماء للوطن إن لم يكن سعي في التقاعس عنه والإضرار به جراء الإحساس بمرارة الظلم. وذلك ما أشار إليه ابن خلدون في ملاحظته الشهيرة بأن فشو الظلم في المجتمع مؤذن بخراب العمران.⁽²⁾

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد 25]. وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل 90].

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، د. عبد المجيد النجار، ص (176-179).

(2) المرجع نفسه، ص (174).

ومع هذا التعميم القاطع في الأمر بالعدل جاء الأمر أيضا متواترا مطردا في القرآن الكريم على صفة التفصيل بحيث شمل كل أنواع العلاقات بين أطراف المجتمع من ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام 152].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء 58].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة 8].

وقال: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة 8].

وهذا كله يثبت حقيقة أن العدل إنما شرع ليشد مكونات الهيكل الاجتماعي شدا قويا يكون به هذا الهيكل محفوظا من التفكك متماسكا في أداء مهمة الخلافة في الأرض.⁽¹⁾

د. تطوير المجتمع وبنائه على القيم الديمقراطية: من خلال النشاطات

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، د. عبد المجيد النجار، ص (175).

الديمقراطية في الحياة المدرسية، فالمدرسة يتعلم فيها الأفراد ضرورة احترام التنوع الثقافي والتعايش السلمي الذي يسعى لتحقيق مصلحة الوطن والتكيف لتحقيق الهدف المشترك لجميع المواطنين، وهذا لن يتأتى إلا بوجود تربية وطنية فاعلة تعمل على اختزال الفوارق وتوحيد القيم المشتركة.

هـ. ترسيخ أخلاقية الشعور بالواجب:

إن الشعور بالواجب أساس النظام الأخلاقي كله؛ إذ ما فائدة الأخلاق لدى أناس لا يشعرون بأي التزام نحوها؟

وليس لدى المسلم مشكلة في تحديد الجهة الملزمة بالواجبات والمسؤوليات، إذ إنه مستسلم لأمر الله في المنشط والمكره، وإنما تكمن المشكلة الأساسية لدينا في صعيد المعرفة والشعور، ثم في صعيد الالتزام؛ إذ من السهل على المرء أن يتناسى بعض الواجبات، أو يتساهل بها في زحام المسؤوليات والواجبات، واشتباكها مع الحقوق، وتوقف بعضها على بعض. ومن السهل عليه أن يعلل عدم التزامه بها...⁽¹⁾

وقد حدثنا القرآن الكريم عن أولئك الذين يذعنون للحق عندما يكون لهم فيه مصلحة، وعن أولئك الذين يكيلون بمكيالين، وأولئك الذين يلتزمون بالأمر الرباني في أوقات الرخاء، ويتقاعسون عنه في

(1) «مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية»، د. عبد الكريم بكار، ص(231).

أوقات الشدة.

نجد من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ. وَإِنْ يَكُنْ هُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور 48 - 49].

وقوله أيضا: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين 1-3].

وقوله كذلك: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة 81].

هذا، وليس من السهل توفر أشخاص كثيرين يتحملون المسؤوليات، ويؤرقهم الوفاء بالالتزام ما لم يكن أولئك الأشخاص صالحين بالمقاييس الشرعية. وحتى نحصل على التزام بأداء الحقوق والواجبات، فينبغي أن تنتهي تلك الواجبات إلى نوع من الوجوب الشرعي، أو تكون دائرة في فلكه على الأقل.

ومن وسائل دعم أخلاقية الشعور بالواجب (1):

(أ) تعميق مفاهيم الواجبات الشرعية وترسيخ قيم الرقابة الذاتية. «اعبد الله كأنك تراه» وفقا للمفهوم الواسع للعبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

(1) ينظر: «مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية»، د. عبد الكريم بكار، ص (233-234).

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات 56].

(ب) الوعي بالواجبات الحضارية المعاصرة: العلم، الثقافة، اللغة، الانضباط، التنظيم، الوقت...

(ج) توفير القدوات والنماذج المؤثرة في الإشعار بالواجبات.

(د) المبادرة العملية كأن يخصص الفرد مثلاً نصف ساعة لأداء واجب معين يخدم المصلحة العامة ويستمر على هذا المسلك.

(هـ) التزام التقوى التي تمد بالطاقة والحيوية لجعل السلوك متطابقاً مع العقيدة والقناعة الذاتية.



خاتمة

أولاً. أبرز النتائج:

- يوجد ارتباط قوي بين المنهج الإسلامي والوطن؛ إقامة الدين لا تتأتى إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا، ومن ثم فالانتماء الوطني من أبعاد الانتماء الإسلامي العام.
- إن منظومة الحقوق والواجبات تختلف من نظام سياسي إلى آخر، والذي يعكس الاختلاف في تجليات المواطنة بيننا وبين الغرب، حيث تختلف مصادر القانون المحدد للحقوق والواجبات في إطار الدولة الوطنية.

- إن المواطنة ترتبط بوعي الإنسان بوجوده داخل وطنه، على أنه أصيل في بلده ليس مجرد مقيم يخضع لأنظمة ولوائح معينة.
- يمكن النظر إلى فكرة المواطنة على أنها مجموعة من القيم والنواظم لتدبير الفضاء العمومي المشترك، وتتجلى في أربعة نواظم: الانتماء، الحقوق، الواجبات، والمشاركة في الفضاء العام.
- تقوم المواطنة على ثلاثة قواعد: المساواة، المشاركة، والولاء.
- ارتباط المواطنة بالخبرة التاريخية من شأنه أن ينمي إحساس الأفراد بالأهداف العامة للجماعة الوطنية، ومن ثم تحقيق المشروع الوطني للتنمية، وإعلاء حق الوطن قبل حقوق الأفراد.
- إن من آثار انكماش الشعور بالانتماء الوطني: انعدام القوة، فقدان المعنى، فقدان المعايير، العزلة، وغربة الذات.
- تستلزم التربية على المواطنة تطويرا مستمرا لمحتوى نظام الحقوق والواجبات المتعلقة بالدولة والمواطن، حيث يتعمق وعي المواطن بوحدة الحياة والمصير المشترك الذي يجمع المواطن بالدولة.
- يعتبر التنوع الثقافي مصدر قوة وإغناء وثراء للذاكرة الجماعية، وتقوم التربية الوطنية بدور مركزي في تحقيقه.

ثانيا. أبرز التوصيات:

1. الدعوة إلى تكثيف العمل لتأهيل المواطن الذي يدين لوطنه

- بالولاء ويفسح مجالا أكبر من الاحترام والثقة للثقافة الوطنية.
2. ضرورة التكوين السياسي للفرد من خلال تربية تركز على بناء ثقافة سياسية سائدة، ومن ثم تحقيق المشاركة الفاعلة من خلال الأدوات السياسية المتاحة.
3. محاربة أسباب الفقر والحرمان لأفراد الجماعات المختلفة وإقامة مشاريع إنمائية لصالح بعض المحرومين، تكريسا للتساوي في الفرص والامتيازات.
4. القضاء على الفساد المرتبط بالتمييز أو التهميش تجاه فئات من المواطنين، وذلك بالتركيز على القيم الوطنية ومحاربة الفساد، والقيام بسياسات التمييز الإيجابي لبعض التجمعات السكنية في بعض الحالات، خاصة تلك المتمركزة في بعض المناطق الجغرافية البعيدة عن العواصم.
5. المرونة في التواصل واللقاء هي الأساس في علاقات الجماعة الوطنية، وإثارة قضاياها لأجل النقاش العلمي والحوار بعيدا عن الشحن الإعلامي.
6. ترسيخ أخلاقية الشعور بالواجب الوطني وتعميقها على المستوى الفردي والجماعي.
7. ضرورة الحذر من الدعوات الخارجية نحو التسامح والاعتدال؛ فقد يعني عندهم: التفريط في الثوابت، والانخراط والتحرك ضمن

المعادلات الدولية والإقليمية المرسومة.

8. الانفعالية في معالجة قضايا المواطنة تزيد في الإرباك وتقضي على التماسك والانضباط، وتخصر دعوة الإسلام في إطار طائفي لا عقائدي.



قائمة مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

القرآن الكريم

أولاً: الكتب

- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (توفي 538هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- التربية على المواطنة وشروطها في الدول المتجهة نحو الديمقراطية: أدونيس العكر، ط1. بيروت: دار الطليعة، 2007م.
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهرى (توفي 370هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
- حقوق الإنسان وحرياته الأساسية: هاني سليمان الطعيمات، ط1؛ عمان: دار الشروق، 2000م.
- الدين والاثنية والتوجهات الإيديولوجية في العراق من العمل إلى التكامل: فالح عبد الجبار، أبو ظبي: مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2004م.

- في التربية والسياسة: متى يصير الفرد في الدول العربية مواطناً؟: ناصيف نصار، ط:2؛ بيروت: دار الطليعة 2005م.
- في النظام السياسي للدولة الإسلامية: د. محمد سليم العوا، ط:3؛ القاهرة: دار الشروق، 1428 هـ 2008م.
- القيم ومسؤوليات المواطنة: عبد الودود مكروم، ط:1؛ القاهرة: دار الفكر العربي، 2004م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (توفي 711هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، لا.ط؛ القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية: أ. د. عبد الكريم بكار، ط:2؛ دمشق: دار القلم، 1422 هـ 2001م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ج2، ط:4؛ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005م.
- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: محمد عمارة، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة: د. عبد المجيد النجار، ط:1؛ بيروت: دار الغرب اسلامي، 2006م.
- المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين "دراسة فقهية نقدية": د.صلاح الدين سلطان، ط:1؛ بيروت: دار ابن حزم، 1429 هـ 2008م.
- المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية: علي خليفة، الكواري وآخرون، ط:2؛ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004م.
- الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من الباحثين، ط:1؛ الرياض: مؤسسة

أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1416هـ / 1996م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

ثانيا: المقالات

- قيم المواطنة من خلال تمثلات الشباب: فرفار جمال، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع بجامعة وهران، 2005م.
- المواطنة ومسألة الأقليات: الهادي دوش، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008م.

رابعا: المقالات

- نشأة مبدأ المواطنة في مصر: وليم سليمان قلادة، القاهرة: المواطنة، العدد 1، عام 1998م.
- مفهوم المواطنة: شبل بدران، القاهرة: الهلال، العدد 1، يناير 2006م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

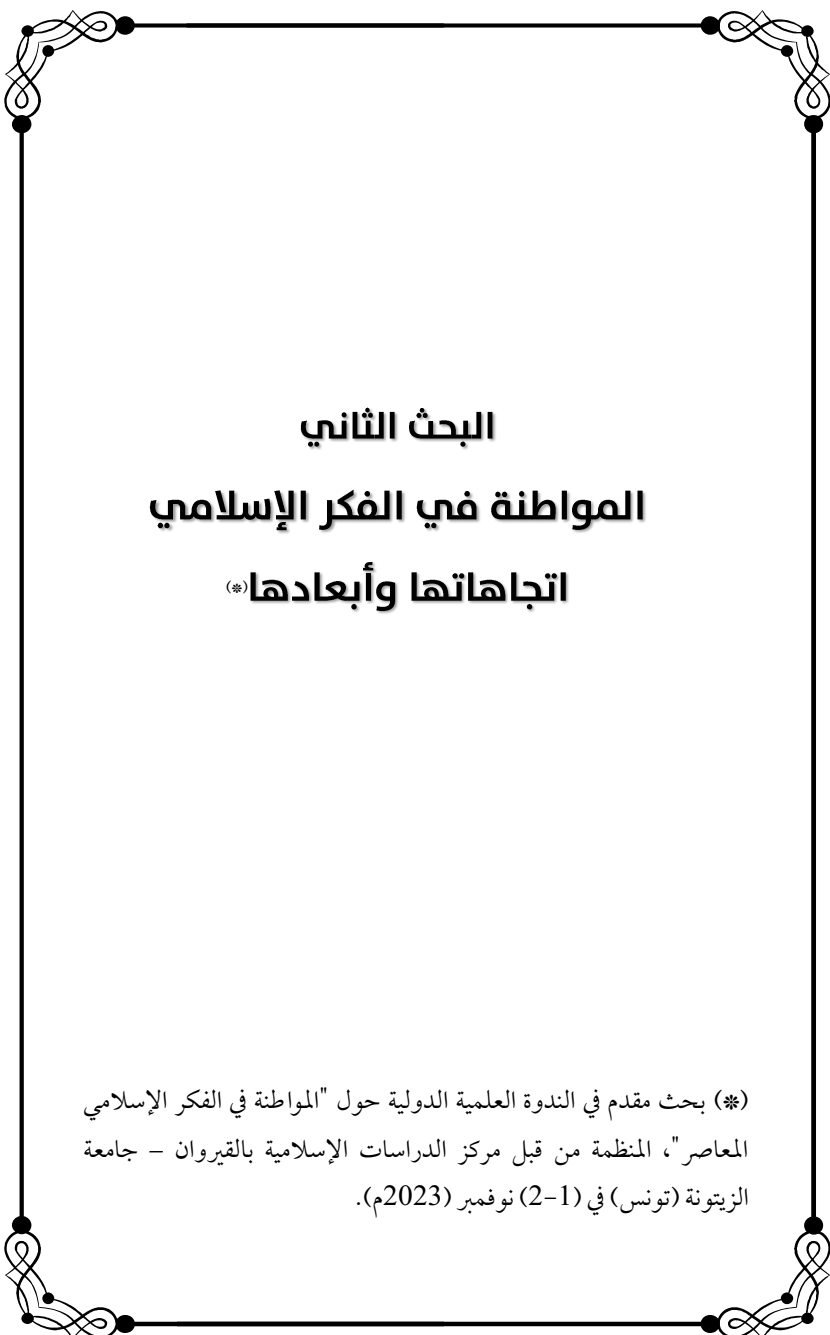
خامسا: المواقع الإلكترونية

رابعا: المواقع الإلكترونية

<http://www.almichaal.org/spip.php?article289>

<http://www.mugrn.net/vb/showthread.php?t=26731>

www.albyan.com



البحث الثاني

المواطنة في الفكر الإسلامي

اتجاهاتها وأبعادها^(*)

(*) بحث مقدم في الندوة العلمية الدولية حول "المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر"، المنظمة من قبل مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان - جامعة الزيتونة (تونس) في (1-2) نوفمبر (2023م).



مقدمة

يعتبر موضوع المواطنة وإشكالاتها في صدارة اهتمامات المشهد الثقافي والسياسي في العالم المعاصر، وأصبح له حضور قوي وطرح متجدد لدى شرائح بحثية متعددة، لاسيما أن هناك تجاذبات كثيرة تتنازع في الداخل والخارج.

ومن جهة أخرى يبدو أن هناك التباسا نظريا وعمليا بشأنه لدى فئات اجتماعية عريضة، لاسيما في مواقف عدد من التيارات الفكرية والسياسية والجماعات الدينية المختلفة؛ حيث نجد خطابين متشددين يسعيان إلى تقويض مبدأ المواطنة أو تطويعه وفق رؤية غير متوازنة، وهما:

(1) مسلك التشدد الديني: وفيه إحداث للتشويش والاضطراب الذي يصل للعدوان على الأنفس والممتلكات، وافتعال تعارض بين الهوية الإسلامية والهوية الوطنية، ومن ثم التضحية بهذه الأخيرة.

(2) مسلك التطرف العلماني: وفيه أيضا افتعال التعارض بين المواطنة وبين الانتماء الديني، بل الذهاب إلى تفسير المواطنة حصرا بأنها التخلي عن الإسلام على وجه الخصوص.

ولئن كان انحراف المسلك الأول ظاهرا بما نشره من إفساد في

الأرض، وعدم انضباط بمقتضيات الالتزام الديني؛ فإن المسلك الثاني ظاهر أيضا في استعداداته لأهم عناصر الهوية الوطنية وهو الدين، خاصة عندما نجدهم تحاشوا التعرض للديانات الأخرى. ومن زاوية أخرى يمكن تفسير موقف طرف منهم بأنه رد فعل على التطرف الديني سابق الذكر، وردود الأفعال تذهب شأوا بعيدا، لكن لا ينبغي أن يختل من خلالها ميزان العدل والإنصاف.

وهكذا يظهر أن أخطر ما في المسألة أن إشكالية المواطنة لدى شرائح اجتماعية واسعة تولد عنها مسلك يسعى لأن يحفر في أساسات الدولة والهوية، الأمر الذي يعجل بضرورة إدارة حوارات فكرية ومعرفية حول الوطنية والمواطنة ومقتضياتها، ووضع النقاط على الحروف لتجاوز جميع أشكال التآزم الذي يؤدي في أغلب الأحوال إلى التشطي وتفتيت مقومات الهوية، وتكريس حالة التشرذم.

وبناء عليه اخترت أن أسهم في هذه الندوة العلمية الدولية التي ينظمها مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ببحث معنون بـ "المواطنة في الفكر الإسلامي - اتجاهاتها وأبعادها" أجتهد من خلاله أن أتلّس نقاط الارتكاز في الموضوع، وأسَلِّط الضوء على أبرز اتجاهات النظر إلى فكرة المواطنة، وكذا الأبعاد التي يتطلبها تحقيق معناها في حياتنا المعاصرة.

واخترت أن أستخدم المنهج التحليلي الاستقرائي في تتبع ورود مفردات المواطنة وتوظيفها في كثير الأعمال الفكرية المعاصرة، مع

الاستفادة من المنهج المقارن في عرض الآراء المتقابلة للخروج بمعنى أقرب إلى الصواب.

أما الدراسات السابقة فكثيرة جداً؛ حيث تم رصد أعمال علمية كثيرة منها:

□ المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية للباحثة: بتول حسين علوان، بإشراف: جهاد الحسني، جامعة بغداد، العراق، 1427هـ/2006م، وفيها (294) صفحة.

□ مفهوم المواطنة في المنظور الإسلامي، بحث تكميلي في الدكتوراه للباحث: محمد النبوي مخيمر، بإشراف: الهادي السعيد عرفة، قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، جامعة المنصورة، مصر، 1438هـ/2017م، وفيها (75) صفحة.

□ أعمال الملتقى الدولي السادس حول فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، المنظم في كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1، الجزائر، 2013م، وفيه (1408) صفحة.

إضافة إلى عشرات الكتب والمقالات المتنوعة لباحثين ومفكرين معاصرين أثبتت الاستفادة منها جميعاً في ثانيا البحث.

ويظهر لي أن طريقة عرضي للموضوع تختلف عن الدراسات السابقة المذكورة في تتبع اتجاهات المواطنة وأبعادها، وفي الإشارة إلى أبرز

مؤيداتها ومناقشة ما يتطلب المناقشة.

وبناء عليه نقسم مفردات هذه الورقة إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: اتجاهات المواطنة في الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: أبعاد المواطنة في الفكر الإسلامي.



المطلب الأول: مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي

إن رصد المفاهيم يقتضي معرفة كونها متولدة عن بيئة تاريخية واجتماعية محيطة بها، وأنها قد تختلف مكانا وسيقا، ثم إن مساحتها الدلالية وقدرتها التفسيرية تتفاوت وتتطور بشكل كبير.

وعليه فمفهوم المواطنة يختلف تبعاً للزاوية التي نتناوله منها، وتبعاً لهوية من يتحدث عنها، وتبعاً لما يراد بها، وسوف نبدأ بالرجوع إلى الاستعمال اللغوي ومنه ندلف إلى المعنى الاصطلاحي الذي قد تختلف دلالاته من فرع معرفي إلى آخر.

(أ) معنى المواطنة في اللغة العربية:

تطلق المواطنة في اللغة العربية على معان ثلاثة هي⁽¹⁾:

(1) «أساس البلاغة»، الزمخشري، ص(503)؛ «لسان العرب»، ابن منظور، (451/13)؛

«القاموس المحيط»، الفيروز آبادي، ص(1116). كلهم في مادة: "وطن".

1- الموافقة: قال الزمخشري (توفي 538هـ): واطتته على الأمر وافقتته. وقال ابن منظور (توفي 711هـ): واطن على الأمر أضمر فعله معه، فإذا أراد معنى وافقه قال: وطأه.

2- الإقامة في مكان ما، سواء أكانت الإقامة دائمة أم مؤقتة. قال الفيروزآبادي (توفي 817هـ): الوطن: منزل الإقامة... والجمع أوطان... وأوطنه ووطنه واستوطنه: اتخذه وطنا. ومواطن مكة مواقفها، ومن الحرب مشاهدتها، وتوطن النفس تمهيدها.

3- حب المكان الذي يقيم فيه الإنسان. قال الزمخشري (توفي 538هـ): وطن: كلّ يحبّ وطنه، وأوطان وموطن ومواطنة، والإبل تحنّ إلى أوطانها. ومن المجاز استعملها في مرابض الغنم ومشاهد القتال. والظاهر أن تلك المعاني الثلاثة تندرج ضمن ما استقرّ عليه مجمع اللغة العربية في تعريف الوطن بأنه: مكان إقامة الإنسان ومقرّه، وإليه انتماءه ولد به أم لم يولد.

أما كلمة واطن فتردّ بمعنى: أن يعيش مع قوم في وطن واحدة؛ ففي «المعجم الوسيط»⁽¹⁾ أنها محدثة، بمعنى أنها جديدة في هذا الاستعمال.⁽²⁾

(1) «المعجم الوسيط»، إبراهيم أنيس وآخرون، (2/1085)، مادة: "وطن".

(2) ينظر: «المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين - دراسة فقهية نقدية»، صلاح الدين سلطان، ص (11 - 13).

(ب) المواطنة في الاصطلاح:

انتهينا في بيان المعنى اللغوي إلى كون مصطلح المواطنة بمعنى المعاشية في وطن هو استعمال حادث؛ وعند متابعة إطلاقاته وجدنا تنوعا في أغراض استعماله وفقا للحقول المعرفية، وبالتالي تعددت صيغ بيان معناه. وسوف نعرض لنماذج من تلك التعريفات، ونتبعه ببيان موجز عن الجذور التاريخية لاستعمال المصطلح وصلته بالموروث الفكري في الحضارة الإسلامية.

تعني المواطنة في معناها السياسي: الصفة التي تتعلق بالفرد بما توفر فيه من وصف سياسي قامت الدولة على أساسه، كما تعني مشاركته في أمور وطنه من منطلق انتمائه إليه. أما عند فقهاء القانون فتعني عندهم: علاقة بين الفرد والدولة يحددها القانون تتضمن الحقوق والواجبات. في حين يذهب المنظور الاقتصادي والاجتماعي إلى أن المواطنة تمثل إحدى السمات التعريفية للمجتمع، تعبر عن المسؤوليات والامتيازات، من حيث إشباع الحاجات الأساسية للأفراد، والتفافهم حول مصالح وغايات مشتركة.⁽¹⁾

(1) ينظر: «المواطنة في الفكر الإسلامية المعاصر»، بتول حسين علوان، ص(21)؛ عمر حمدان، وبتول حسين علوان، «موقف الفكر الإسلامي المعاصر من المواطنة»، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، مجلد (20)، عدد (85)، (2021م)، ص(105-106)؛ «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة، الكواري وآخرون، ص(30)؛ «التجديد الحضاري: دراسات في تداخل المفاهيم المعاصرة مع المرجعيات الموروثة»، طارق البشري، ص(258)؛ «موسوعة السياسة»، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، (373/6).

والظاهر أن تلك المعاني تطرقت للمواطنة من خلال زاوية الرؤية التي تشتغل من خلالها؛ فركزت على الأسس التي تعنيها من المواطنة؛ بما يجعل من المواطنة صفة سياسية قانونية اجتماعية في آن واحد.⁽¹⁾

واستنادا عليه جاءت صيغ متعددة في تعريف المواطنة بما يستوعب مختلف التمثيلات السابقة، منها:

□ المواطنة: "علاقة عضوية بين الفرد والوطن، تنهض على أساس مجموعة من القيم، وتستند إلى مجموعة من الشروط والضمانات، وترتب مجموعة من الحقوق والواجبات المتبادلة على طرفيها؛ ومن ثم فهي تأخذ العديد من التطبيقات التي تختلف باختلاف المجتمعات والمراحل التاريخية".⁽²⁾

□ المواطنة: عقد اجتماعي يجمع بين الأفراد في مجتمع ما على قاعدة المساواة فيما بينهم، بقطع النظر عن تباين انتماءاتهم الدينية وخصوصياتهم الثقافية وأصولهم العرقية، وذلك في إطار وطن معين، يحتكم إلى سلطة موحدة منبثقة عن نظام سياسي، ويلتزم فيه المواطنون بمرجعية القانون السائد، ويعملون من أجل الصالح المشترك".⁽³⁾

(1) «موقف الفكر الإسلامي المعاصر من المواطنة»، بتول حسين علوان، مقال سابق، ص(107).

(2) «المواطنة في الإسلام»، سعيد إسماعيل علي، ص(18).

(3) «المواطنة والعولمة بين تعزيز الانتماء الوطني وتحقيق التواصل الحضاري»، أحمد جاب الله،

أعمال الملتقى الدولي السادس "فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر"، جامعة باتنة 1، الجزائر، (2013م)، (2/5-6).

□ المواطنة: تتمتع الشخص بحقوق، والتزامه بواجبات، وممارستها في بقعة جغرافية معينة ذات سيادة.⁽¹⁾

وإذا أردنا أن نعرف المواطنة في الفكر الإسلامي على وجه الخصوص فإنه ينبغي الانطلاق من القواعد والأسس التي تبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة وهما الوطن والمواطن⁽²⁾، وبالتالي يمكن القول بأن المواطنة تعبير عن الصلة التي تربط الفرد بأتمته وبقيادتها وبأرضها وما يترتب عن تلك الصلة من حقوق وواجبات.

ولئن كانت الصلة عضوية بين المواطنة والوطن والمواطن؛ فإن الوطن لا يقتصر على القطر الذي يعيش فيه الإنسان وينسب إليه سياسيا، ويخضع لسلطة قانونه، ولكن الوطن قد يتسع مدلوله فيتجاوز هذا القطر، وقد يكون أضيق منه.⁽³⁾ وتبعاً لهذا تكون المواطنة دوائر ومستويات تبدأ بعضوية الأسرة وتنتهي إلى الانتماء إلى الوطن الكبير (الأمة)، ثم تتسع شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الدائرة الإنسانية.⁽⁴⁾

(1) «مفهوم المواطنة في الإسلام»، عمر سيدي، مجلة المفكر للدراسات القانونية والسياسية، جامعة خميس مليانة، الجزائر، مجلد (3)، عدد (3)، (2020م)، ص (3).

(2) «المعالجة الإسلامية لإشكالات المواطنة: رؤية تحليلية معاصرة»، سامر مؤيد عبد اللطيف، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء، العراق، العدد (1)، (2010م)، ص (2).

(3) «الدين والمجتمع»، أحمد الشرباصي، ص (39).

(4) «المواطنة في الإسلام»، سعيد إسماعيل علي، ص (19، 31).

هذا، ويذهب "برنارد لويس" إلى أن مصطلح المواطنة غريب تماماً عن الإسلام، بل لا وجود لمترادف له (Citizenship) في اللغة العربية.⁽¹⁾ والظاهر أن أي باحث متوسط الاطلاع بإمكانه أن يقف عند الدور الفاعل الذي قامت به الشرائع السماوية - ومنها الإسلام - في تشكيل مضامين المواطنة وإثرائها من خلال المبادئ التي سعى الأنبياء والرسل إلى تثبيتها كمبادئ العدالة والمساواة والإنصاف، وتوسيع دوائر الانتماء من دوائر ضيقة كالعائلة، والقبيلة والعرق... إلى روابط فسيحة كرابطة الأمة والدين العالمي.

ولئن كان مفهوم المواطنة نشأ وتبلور بالصورة الحالية مع ظهور الدولة الحديثة؛ إلا أن تقديم الفكر الإسلامي له كان بشكل مختلف، يتعدى في كثير من الأحيان حدود الدول وجغرافيتها، ويتجاوز ما يختلف الناس فيه عرقاً أو جنساً أو لغة أو لونا؛ حيث إنه منذ فجر الإسلام وفكرة المواطنة كهوية وانتماء للجماعة تعتبر جزءاً من المجتمع السياسي، وأن فكرة الحقوق والالتزامات كانت معروفة وواضحة المعالم آنذاك⁽²⁾، بغض النظر عن

(1) - Bernard Lewis, "Islam and Liberal Democracy: A Historical Overview", Journal of Democracy, vol. 7, no. 2 (1996), pp. 52-63.

نقلاً عن: «المواطنة موضوعاً للفكر والبحث.. الخطاب الإسلامي في مصر»، عماد الدين شاهين، ضمن كتاب: المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية، رؤية جديدة، تأليف جماعي، (130/1).
(2) المرجع نفسه، شاهين، (130/1)؛ «المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي»، بديدة علي أحمد الطملاوي، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، عدد (38)، أكتوبر (2021م)، ص (566).

التطبيقات التاريخية التي تبين مستوى الالتزام بمقتضيات المواطنة فيها، حيث كانت الغلبة لدولة الفرد في مقابل الرعاية ردحا من الزمن، وفيها ضمور لكثير من العناصر الفاعلة التي تحقق مقتضيات المواطنة.

لكن المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة، وكذا تطورات الفكر الإسلامي والإنساني؛ ألجأ كل هذا إلى إحداث مفاهيم جديدة، إضافة إلى تطوير مفاهيم قائمة، ولعل فكرة المواطنة بمعناها الحديث جاءت في هذا السياق.



المطلب الثاني: اتجاهات المواطنة في الفكر الإسلامي

تعددت اتجاهات المواطنة في منظور المشتغلين بالفكر الإسلامي المعاصر؛ سواء من حيث تكييف المصطلح الجديد إلى معاني موجودة في الرصيد الحضاري الإسلامي وما يترتب عليه من قبول أو ردّ، أو من حيث متطلبات تجسيد المواطنة ضمن اتجاهات متميزة.

(أ): اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في تكييف مصطلح المواطنة:

يمكننا أن نرصد ابتداء اتجاهين بارزين بخصوص قبول مصطلح المواطنة من عدمه⁽¹⁾:

(1) ينظر: «المواطنة في الفكر الإسلامية المعاصر»، بتول حسين علوان، مرجع سابق، ص (38) وما بعدها.

الاتجاه الأول: وهو اتجاه يثبت أصالة هذا المصطلح من حيث الأسس التي يرتكز عليها لا من حيث صياغة المصطلح، والعبرة بالمضامين لا بالمسميات. وتنوعت الآراء في العودة بمدلولات المصطلح في الفكر الإسلامي، ولعل أبرزها:

1. المواطنة تعني العضوية في الأمة⁽¹⁾، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

2. المواطنة تعني الموالاتة؛ استنادا على قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَا يَتِيهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72].

3. المواطنة عهد وميثاق؛ استنادا إلى ما جاء في وثيقة المدينة التي اعتمدها النبي ﷺ، حيث نصت على مضمون وحقيقة المواطنة التي تعني المساواة التامة بين أبناء الوطن الواحد،⁽²⁾ وفيها تأكيد على الطابع

(1) ينظر: «التكليف الفقهي للمواطنة والجنسية»، خالد فايت حسب الله، مجلة القلزم للدراسات السياسية والقانونية، السودان، عدد (8)، (2021م)، ص(40).

(2) ينظر: «الإسلام والوطنية»، محمد عمارة، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد (97)، (2000م)، ص(7)؛ «مفهوم المواطنة وحقوقها وواجباتها وقيمها في الفكر السياسي =

التعاقدى للنظام الجديد، والاعتراف بالحقوق والواجبات على قدر من التساوي للمجموعات القبلية والدينية.⁽¹⁾

وإن الدور الذي قامت به وثيقة المدينة يتمثل في تحويل القاطنين في المدينة طوعية من رعايا إلى مواطنين، من إطار القبيلة والقبلية إلى رحاب الدولة والأمة، ولم يبلغ النبي ﷺ القبيلة وإنما عدل من وظيفتها؛ فبعد أن كانت القبيلة هي الدولة غدت لبنة في كيان الدولة الجديدة.⁽²⁾

4. المواطنة تعني الانتماء إلى دار الإسلام؛ حيث إن ما يتضمّنه مفهوم "دار الإسلام" هو نفسه مضمون مصطلح المواطنة، فلا مواطنة بغير مواطن، ولا مواطن دون موطن، والوطن في المنظور الإسلامي هو دار الإسلام، فالمواطنة تعني مجموع العلاقات والروابط والصلات التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن فيها سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين.⁽³⁾

=الإسلامي والدولة القومية الحديثة»، صالح حسن المسلوت، أعمال ملتقى المواطنة، جامعة باتنة، ج1، ص(46)؛ «المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي»، بديعة علي أحمد الطملاوي، مقال سابق، ص(566).

(1) «الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق»، محمد عمارة، ص(179)؛ «آفاق المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر»، رضوان السيد، مقال سابق، ص(327).

(2) «الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق»، محمد عمارة، ص(181).

(3) ينظر: «مواطنون لا ذميون»، فهمي هويدي، ص(82)؛ «مفهوم المواطنة وحقوقها وواجباتها وقيمها في الفكر السياسي الإسلامي والدولة القومية الحديثة»، صالح حسن المسلوت، مقال سابق، (40/1-44).

إن مصطلح أهل دار الإسلام، يدل على وجود رابطة بين طرفين؛ الدار وأهلها، "فالدار هي الكيان الحضاري الذي ينتظم وجودهم من خلاله، وقد عبر عن نفسه في حقيقة عقدية وإقليمية وسياسية، والأهل هم الذين ينتسبون إليها، ويقيمون في إقليمها بصفة مستقرة، ويدينون بالولاء لها، والرابطة هي حدود ما بين الدولة وأهلها، وهي حدود سياسية؛ لأن ممارسة الدولة على أهلها أو وطنها منوطة بتحقيق مقاصد السياسة الشرعية، وتشريعية لأن ثمة تشريعات ملزمة للدولة ولرعاياها..."⁽¹⁾

5. المواطنة تعني التكاليف الشرعية؛ على اعتبار أن التكاليف يعني إلزام المسلم القيام بواجباته نحو خالقه ونحو نفسه ومجتمعه والإنسانية، وأن حقوقه مترتبة على التزامه المذكور.

6. المواطنة توصيف للالتزام بالإسلام؛ حيث إن استعمال مصطلح المواطن في لغة العصر يقابله كلمة "مسلم" في المصطلح الإسلامي التاريخي؛ ويرجع ذلك إلى أن الفرد يتمتع بكونه مسلماً بالعضوية الكاملة في المجتمع السياسي الإسلامي؛ ففي الحديث الشريف: "المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويُجِيرُ عليهم أقصاهم وهم يدٌ على من سواهم..."⁽²⁾؛ وفي هذا بيان بأن الفرد المسلم يتمتع بالمشاركة الفعالة

(1) «المواطنة في الإسلام»، سعيد إسماعيل علي، ص (30).

(2) رواه أبو داود في «السنن»، (2751) بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو.

والعضوية المتساوية داخل منظومة الحكم (الجماعة السياسية)، في حين تثبت عضوية غير المسلمين بناء على الصلة التعاقدية مع المنظومة المذكورة.⁽¹⁾

ولئن كان الانتماء الأول والأساسي بالنسبة للمسلم هو إلى الإسلام وأُمته وإلى دار الإسلام وحضارته؛ فإن هذا لا يثير أي مشكلة أمام دوائر المواطنة المتعددة إذا كانت دوائر الانتماء متسقة في فكر المسلم وممارسته.⁽²⁾

7. المواطنة تعني: الولاية، بمعنى المعاوضة والتناصر في الحقوق؛ حيث ينشأ الانتماء والتلبس بمفهوم المواطنة من الالتزام بالمشروع السياسي للمجتمع، وتتحقق للأعضاء مسلمين وغير مسلمين صفة المواطنة (الولاية).⁽³⁾

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه ينفي وجود هذا المصطلح (المواطنة) في الفكر الإسلامي، ويمثل هذا الاتجاه فريقان:

1. **الفريق الأول:** ينفي وجود مصطلح المواطنة؛ حيث يرى أن مفهوم الجماعة في الإسلام يخلو من أية محاولة لتطوير سياق للمواطنة باعتبارها

(1) «المواطنة في الإسلام»، سعيد إسماعيل علي، ص (28).

(2) المرجع نفسه، ص (29).

(3) ينظر: «نظام الحكم والإدارة في الإسلام»، محمد مهدي شمس الدين، ص (536-537).

شرطا ضروريا لنشوء حكم القانون، ولظهور المجتمع المدني الذي يستطيع أن يقوم بدور دافع أو معوّق للسلطة طبقا لمواقفها من قضايا المواطن.⁽¹⁾

2. الفريق الثاني: ينفي مشروعية المواطنة بل يعتبرها كفرا؛ حيث يرى أنها مفهوم غربي مستورد لا يعكس الشرعية التي يجب أن يقوم عليها المجتمع الإسلامي وهي العقيدة، وبالتالي فكل الروابط المبنية على صلة الدم والأرض والوطن والقوم والعشيرة.. كلها روابط جاهلية.⁽²⁾ ثم إن المواطنة المذكورة تقتضي المساواة بين المسلم وغير المسلم، وهو مخالف لما شرع الله تعالى حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال:73]. في حين ينفي آخرون مشروعية المواطنة استنادا إلى أننا ملزمون في الأحكام القضائية من حدود وقصاص ونحوهما بالقانون الإلهي، وهذا يعارض اعتماد مقتضيات المواطنة كالمساواة بين المسلمين وغيرهم في الأحكام المذكورة.⁽³⁾

-
- (1) ينظر: «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة الكواري وآخرون، ص(56)؛ «المواطنة موضوعا للفكر والبحث»، عماد الدين شاهين، (130/1-131)؛ «المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي»، بديعة على أحمد الطملاوي، ص(563).
- (2) ينظر: «المواطنة موضوعا للفكر والبحث»، عماد الدين شاهين، ص(130).
- (3) ينظر: «وقف الفكر الإسلامي المعاصر من المواطنة»، عمر حمدان، وبتول حسين علوان، مقال سابق، ص(111).

وفي مراجعة سريعة للتوجهات المذكورة نقدم الملاحظات الآتية:

1. إن اعتبار المواطنة هي العضوية في الأمة لا يستقيم؛ حيث إن الارتباط بالأمة الإسلامية يعتبر من قبيل الروابط الاجتماعية لا السياسية؛ فالأمة وحدة اجتماعية لها رباط فكري وسلوكي يميزها⁽¹⁾، ثم إن الآية المحتج بشطرها [أل عمران: 110] تكملتها: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ مما يقتضي استثناء أهل الكتاب من مفهوم الأمة ومنه المواطنة وفق هذا الاعتبار، بل قبل الآية المذكورة [الآية: 104] في السورة نفسها نجد: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ مما يفيد أن الأمة تعبر عن جماعة معينة؛ حتى إننا نجد التعبير القرآني: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120].

2. إن في تفسير المواطنة على أنها الموالة حصر لمدلولها؛ حيث إن آية الموالة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا...﴾ [الأنفال: 72] تتكلم عن علاقة خاصة بين مجموعتين من المؤمنين وإلى واجب النصره دون أن تمتد إلى باقي حقوق المواطنة؛ وبالتالي فمصطلح الموالة لا يستوعب معاني المواطنة.

3. إن وثيقة المدينة رغم تمييزها وتركيزها على أكثر مقومات المواطنة

(1) ينظر: «التكييف الفقهي للمواطنة والجنسية»، خالد فايت حسب الله، مقال سابق، ص (47).

إلا أنها لا تتحدث عن حقوق والتزامات المواطن بصريح العبارة. وتفسير المواطنة بالعهد والميثاق يصدق على الجانب السياسي الدستوري من المواطنة، وليس كل عناصر المواطنة تقتضي عهودا ومواثيق، فالعهود ترتبط بموضوعها وليس بالضرورة حقوق والتزامات المواطنة.

4. إن القول بأن المواطنة هي الانتماء إلى دار الإسلام غير كاف في بيان معناها؛ فالانتماء أحد مقومات المواطنة، ثم إن مصطلح دار الإسلام مما اختلف فيه وفي تحديده خاصة في هذا العصر الذي تعددت فيه أقطاره⁽¹⁾، وتوسع فيه نطاق المواطنة للمسلمين إلى مختلف بلدان العالم.

5. أما اعتبار المواطنة هي نفسها التكاليف الشرعية فمتعذر لكون التكاليف المذكورة تخص المسلمين (المكلفين) دون غيرهم، وهي أعم وأسبق من التكاليف التي ترتبها المواطنة.

6. إن القول بأن المواطنة توصيف للالتزام بالإسلام، والمواطن هو المسلم؛ فلا يستقيم لكونه يستبعد غير المسلم من المواطنة بهذا الاعتبار.

7. القول بأن المواطنة هي الولاية والنصرة لا يصدق إلا على المعنى السياسي لها دون أبعادها القانونية والاقتصادية والاجتماعية. ثم إنه يحيلنا إلى مصطلح (ولي الأمر) وما يستتبعه من مطالبة الرعية بالولاء والتبعية

(1) ينظر: «مفهوم المواطنة...»، صالح حسن المسلول، مقال سابق، ص(42).

لسلطة الفرد⁽¹⁾، وهذا أبعد ما يكون عن معنى المواطنة وما فيها من مشاركة وعدالة ومساواة. أما إذا عدنا بالمواطنة من جهة أخرى إلى فكرة الولاية وما يشوبها من الغموض والتباين بين السنة والشيعه؛ فإنه لا يزيد المعنى إلا تشبثا وتضيعا لمعالم المواطنة فضلا عن تحقق معانيها.

أما الاتجاه المنكر لوجود مضمون المواطنة في الفكر الإسلامي؛ فيظهر فيه الاعتساف والتكلف، ومحاولة إسقاط قراءة الماضي على الحاضر دون تبين أوجه الاختلاف. وإن نسب الرصيد الحضاري الذي يؤسس لقيم المواطنة استنادا لعدد من الفوارق التي تحكم التجربة السياسية الإسلامية مقارنة بما لدى الغرب؛ يعدّ تعديا على الأمانة العلمية والنزاهة الأكاديمية. في حين يبلغ الاعتساف منتهاه عند إنكار مصطلح المواطنة لكونه مستوردا، وأكثر ما بين أيدينا من شؤون الدنيا هو من المستورد، والقول بأنه ينازع العقيدة لا وجه له؛ حيث إنه لا يتناول الولاء العقدي؛ فهو انتماء وطني وفق ما يترتب عن العيش المشترك من الحقوق والواجبات ضمن دائرة حكم معين، فلا وجه للتسطيح بافتعال خصومة بينه الدين الذي يمقت الإكراه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] ويمتنع على الناس بالتنوع: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

(1) ينظر: «آفاق المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر»، رضوان السيد، مجلة التفاهم، سلطنة عمان، عدد (54)، (2016م)، ص (319).

ثم إن اختلاف البشر في الشرائع واقع بمشيئة الله تعالى الكونية ومرتبطة بحكمته سبحانه، حيث يقول في محكم التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48]. ولما كان التنوع آية من آيات الله تعالى؛ فإن التطلع لإلغائه سعي لطلب المحال ولتحقيق الممتنع، فمهمة المسلمين الدعوة إلى الإسلام لا أسلمة الناس.⁽¹⁾

أما الاتكاء في رفض المواطنة على الخوف من تعطيل أحكام قضائية؛ فيظهر أن هذا الخوف أو التخوف لا يرقى لأن ينسف المواطنة ومقوماتها؛ فالمنظومة القضائية كفيلة بحل مشكلات تنازع الاختصاص في الأمور المقتضية، وبيان مجالات التطبيق والمحترزات، والاستثناء لا يعود على الأصل بالبطلان.

وعليه أخلص إلى القول: إن التوصيفات السابقة في بيان معنى المواطنة والتأصيل لها ركزت على بعض ملاحظاتها دون أن تحيط بمدلولها المصطلحي وفق الاعتبار المعاصر، وإن إنكار مبدأ المواطنة من حيث الاصطلاح لا يساعد عليه نص شرعي؛ فيبقى على أقل تقدير (تجوزاً) ضمن زمرة المباحات، ثم يرتفع تقديره عند اقتضاء الضرورة والمصلحة؛

(1) «المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي»، بديعة على أحمد الطملاوي، مقال سابق، ص(562).

فالإسلام يستدعي ويتطلب في إقامته: الوطن والوطنية والمواطنة.

ولا شك أن مبدأ المواطنة سبيل لتحقيق المصالح العليا للأوطان بعيدا عن جميع صور الافتراق وأشكال التشطي الاجتماعي، فتندرج ضمن وسائل تحقيق مقاصد الشريعة العليا⁽¹⁾، وللوسائل حكم مقاصدها ضمن الضوابط الشرعية.

(ب): اتجاهات الفكر الإسلامي في تجسيد مبدأ المواطنة:

إن للمواطنة في الوعي الفكري والشعوري لدى المسلمين اتجاهان:

الاتجاه الأول: شعوري عاطفي يتصل بالجوانب الذاتية، الخاضعة للانفعال الداخلي بالأشياء القريبة إلى عاطفة المسلم، المتصلة بمكان من الإحساس الذاتي في كيانه، وهو ما يعبر عنه بمصطلح "الوطنية"، وهو "تعبير قومي يعني حب الشخص وإخلاصه لوطنه، ويشمل ذلك: الانتماء إلى الأرض، والناس، والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن. ويوحى هذا المصطلح بالشعور بالتوحد مع الأمة".⁽²⁾

(1) «المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي»، بديعة على أحمد الطملاوي، مقال سابق، ص(578).

(2) «الموسوعة العربية العالمية»، مجموعة من الباحثين (113/27).

كما تعرّف الوطنية المذكورة بأنها "الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملاً قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائها، والاستعداد للموت دفاعاً عنها" (1).

وإذا استنطقنا القرآن الكريم، نجد أن كثيراً من آياته تقرّ بالجانب العاطفي، الناتج عن الارتباط بين الإنسان والأرض التي يقطنها، فيحدث عن ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: 40]، وعن ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9] في لفتة إيجابية إلى الجانب العميق من العاطفة التي تشد الإنسان إلى موطنه، بحيث يكون الإخراج منه أو المناصرة عليه مشكلة كبيرة قد تبرر الحرب أو المقاطعة ونحو ذلك.

وفي سنة النبي ﷺ (2) ما يؤكد ذلك، من خلال تصريحه بشدة تعلقه بمكة المكرمة، وأنه ما كان ليخرج منها لولا أن أهلها أخرجوه.

هذا، وإن الارتباط العاطفي بالوطن يستتبع بالضرورة صوراً متعددة من العلاقات الاجتماعية القائمة داخل الوطن، والتي تجعل من هذا

(1) «المعالجة الإسلامية لإشكالات المواطنة - رؤية تحليلية معاصرة-»، سامر مؤيد عبد اللطيف، مقال سابق، ص(2).

(2) ينظر: «المسند»، لابن حنبل (18717)؛ «السنن»، لأبي يعلى (5954)؛ «السنن الكبرى»، للبيهقي (518/2).

الارتباط عامل قوة وتآزر.

إنّ "الأمم والشعوب التي لا تربطها روابط عاطفية من أي نوع، والتي تقوم العلاقات بين أفرادها وجماعاتها إلا على المصلحة فقط لا يكون لها في الغالب دوام بقاء، كما لا يكون لها تقدّم عمراني مذكور؛ ذلك لأنّ الروابط العاطفية من شأنها أن تعصم الجماعات والمجتمعات من الانحلال عندما تتضارب مصالحها، وتحفظ كيائها عندما تعصف بها عواصف الشهوات المادية ولو إلى حين تؤوب فيه إلى رشدّها، وتقيم بينها ميزان العدل والسلم بدل ميزان الفتنة والظلم".⁽¹⁾

الاتجاه الثاني: سياسي، يلتقي بالمضمون القانوني للأرض في حدودها الجغرافية الدستورية، ويفتح بهذا المعنى في تلك الحدود عن مجموعات بشرية مختلفة من حيث المذهب، الاتجاه، اللغة، والقومية... ونحو ذلك، ولكنها تتوحد في ظل هذا الوطن وفقا لما يحدده القانون من حقوق وواجبات.

ولعل مصطلح المواطنة يعبر عن ممارسة مضمون هذا الاتجاه؛ حيث يعني: الوضعية القانونية التي يتخذ الفرد بفضلها ماهيته كإنسان سياسي، وتلقى على عاتقه أدوار معينة في آلية الفعل السياسي ضمن إطار الدولة، من خلال مجموعة محددة من الأطر القانونية والأسس النظرية التي تحكم

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، عبد المجيد النجار، ص(172).

أصول العلاقات العامة بين الأفراد من ناحية، وبينهم وبين المؤسسات من ناحية أخرى.⁽¹⁾

ولقد أدرك المسلمون الأوائل هذا المعنى للمواطنة من خلال النصوص القرآنية، التي جاءت لتأكيد قيم العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات، وذلك إما بإقرارها من خلال القرآن الكريم، أو بتأكيدها من خلال بعض الممارسات التي كانت سائدة بمشاركة القبائل العربية قبل مجيء الإسلام، كحلف الفضول، ومجلس الملاء... الخ⁽²⁾، وهي قيم ارتبطت بالحقوق في الإسلام، بنيت على أساس حرية الرأي، باعتبارها أساس الحريات الفكرية، وأساس كثير من القواعد والأصول الشرعية كالقياس والإجماع، وهي بالتالي ضرورة للتصدي لأي انحراف في النظام العام للدولة، وما يتطلبه ذلك من جرأة، وشجاعة، وصراحة في الحق.⁽³⁾

ولما كان ظاهرا وجود ارتباط قوي بين المنهج الإسلامي والوطن؛ فإقامة الدين لا تتأتى إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا، وأصبح

(1) «التربية على المواطنة وشروطها في الدول المتجهة نحو الديمقراطية»، أدونيس العكر، ص (18) و(19)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش ص(15).

(2) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة الكواري وآخرون، ص(19)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش ص(5).

(3) «حقوق الإنسان وحرياته الأساسية»، هاني سليمان الطعيمات، ص(208).

الانتماء الوطني بعدا من أبعاد الانتماء الإسلامي العام... فالوطن ضرورة لإقامة دنيا الإسلام وعمرانه، وضرورة الدين ليكون الوطن إسلاميا وتحقق إسلامية عمرانه⁽¹⁾؛ ومع هذا فإن بعض المتممين إلى تيارات فكرية تغريبية يعتقدون أن الإسلام ينكر مفهوم المواطنة، ويحرم غير المسلمين من حق المواطنة في حالة إقراره بها، لأنه - حسب ظنهم - يستند إلى مفهوم الأمة القائمة على أساس ديني، ويلغى ما سواها، ويدعو إلى وحدة دينية مطلقة.

غير أن هذا الرأي لا يستند إلى أساس صحيح؛ فالإسلام بدعوته إلى المساواة وتحقيق العدالة والتكريم للإنسان لا يميز ولا يفصل بين الناس. ولما يقرر تمييز المسلمين بكونهم أمة فإنما ذلك على أساس من التكاليف الشرعية المطالبين بها وفقا للانتماء العقدي ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء:92]. وهذا الانتماء للأمة لا يلغي به الانتماء للأسرة والعشيرة والقبيلة والشعب. ومن ثم فعلاقة الانتماء تقوم على التكامل لا على التناقض والإلغاء. فالإسلام لا يلغى الوطنية باعتبارها علاقة انتماء إلى وطن أو القومية باعتبارها علاقة انتماء إلى أمة بل يحددتهما فيكاملهما ويغنيهما. وطبقا لهذا فإن الإسلام يقرر أن انتماء المسلمين إلى الأمة الإسلامية لا يلغى انتماءهم إلى قوميتهم الأخرى.⁽²⁾

(1) «معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام»، محمد عمارة، ص (194 - 195).

(2) - <http://www.mugrn.net/vb/showthread.php?t=26731>

ولعله من المستغرب أن نجد المفكر الإسلامي محمد سليم العوا يقول:
"نصت وثيقة دستور المدينة على اعتبار الإسلام أساساً للمواطنة في
الدولة الإسلامية الجديدة التي قامت في المدينة المنورة. وأحلت الوثيقة
الرابطة الدينية محل الرابطة القبلية فعبرت عن المسلمين بأنهم (أمة من
دون الناس)...⁽¹⁾

فهذا القول لا يمكن التسليم به إلا ضمن إطار المرجعية التشريعية في
مجتمع دولة المدينة، والتي تقوم على أحكام الإسلام في تحديد الحقوق
والواجبات؛ أما في الانتماء للدولة وتحمل الالتزامات والاستفادة من
الحقوق فهي لجميع المقيمين بالمدينة المنورة. كما أن الإسلام لم يبلغ الرابطة
القبلية، إلا بمعناها السلبي القائم على العصبية الجاهلية.

ولعل ما يؤكد المعنى المذكور ويزيل الالتباس قوله بعد أسطر قليلة في
الصفحة نفسها: "ولم تحصر وثيقة المدينة المواطنة في الدولة الإسلامية
الأولى في المسلمين وحدهم. بل نصت على اعتبار اليهود المقيمين في
المدينة من مواطني الدولة، وحددت ما لهم من الحقوق وما عليهم من
الواجبات...".⁽²⁾

(1) «في النظام السياسي للدولة الإسلامية»، محمد سليم العوا، ص(57).

(2) المرجع نفسه.

وإذا رجعنا إلى الخلفية التاريخية لوثيقة المدينة فإننا نجد أن يثرب (المدينة) كانت عبارة عن تجمع سكاني من قبائل مختلفة الأصول والأنساب والديانة، فكان من مقتضيات الواقع ومتطلباته أن تلتف هذه المكونات المتعددة حول ميثاق ينظم علاقاتها بعد صراع طويل بينها قبل الإسلام، فوضع النبي ﷺ تلك الوثيقة لتجنب الاحتكاك والتصادم بين المكونات القديمة والوافدين الجدد الذين انضموا إلى النسيج البشري الموجود، وهي كتاب يصرّح بالتعددية الاختيارية، ويبني العقد على أساسها متجاوزا ما يمكن أن تسببه من عوائق بتقديم مصالح التضامن والتعاون في شكل حقوق وواجبات.⁽¹⁾

ولعل أهم ما يميز وثيقة المدينة إقرارها حرية المعتقد، وتنظيمها لعلاقات في مجتمع متعدد، كما أن إقرارها جاء في ظروف عادية فليست مسبقة بقتال ديني أو ثقافي، ثم إنها لم تميز في كلامها بين الأقلية والأكثرية بل التزمت بمقتضى العدل.⁽²⁾

إن صحيفة المدينة نموذج يحتذى به في التأسيس لمسألة المواطنة التعاقدية في الفكر الإسلامي، لأجل تفعيل المشترك الإنساني، وتحييد عناصر الإقصاء والطرد، "فهو اتفاق أتى من غير حرب ولا قتال ولا

(1) «صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة»، عبد الله بن بية، مجلة التفاهم، عدد (50)، (2015م)، ص(16).

(2) «الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق»، محمد عمارة، ص(179)؛ «صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة»، عبد الله بن بية، ص(16).

عنف ولا إكراه، اتفاق تداعت إليه أطرافه طوعية للالتفاف حول المبادئ التي تضمنها ضمن دائرة التفاعل الإيجابي مع الواقع، ومع مكونات مجتمع المدينة، وتحقيق السلم الاجتماعي القائم على الاعتراف المتبادل بالحقوق والواجبات، والقبول بما يفرضه التنوع من اختلاف العقائد والمصالح وأنماط الحياة، مع وجود مرجعية حاكمية يفيء إليها الجميع حال التنازع والاختلاف".⁽¹⁾

"إن وثيقة المدينة كفلت حق المواطنة لكل من هو على أرض المدينة، وهذا يعني أن مجرد الانتماء إلى الأرض هو أحد مقومات المواطنة، إضافة إلى الولاء الذي يمكن النظر إليه بوصفه دوائر ومراتب بإمكانها أن تتواصل وتتفاعل بدلا من أن تتصادم وتتقاتل".⁽²⁾

- موازنة بين اتجاهات المواطنة في الفكر الإسلامي وفي الفكر الغربي:

عرفت "دائرة المعارف البريطانية" المواطنة بأنها: "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة... وأنها تسبغ المواطن حقوقا سياسية كحق الانتخاب وتولي المناصب العامة"⁽³⁾، وتعرف "موسوعة

(1) «صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة»، عبد الله بن بية، ص(22).

(2) المرجع نفسه. وينظر: محمد عمارة، «الإسلام وحقوق الإنسان- ضرورات لا حقوق»، محمد عمارة، ص(180).

(3) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة الكواري وآخرون، ص(30)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(14).

كولير الأمريكية " كلمة (Citizenship) أنها أكثر أشكال العضوية اكتمالاً في جماعة سياسية، فهي لا تختلف عن مفهوم الجنسية⁽¹⁾، وتعرفها "موسوعة الكتاب الدولي" أنها عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم تؤكد حقوق المواطنين كحق الانتخاب وتولي الوظائف والمناصب العامة، وعليهم بعض الواجبات كدفع الضرائب والدفاع عن بلدهم.⁽²⁾

والظاهر من هذه التعريفات أنها تعبر عن الاتجاه الثاني في النظر للمواطنة عند المسلمين، والتي تقوم على البعد الجغرافي القانوني وتغفل الاتجاه الأول الشعوري العاطفي.

ضف إلى ذلك أن منظومة الحقوق والواجبات تختلف من نظام سياسي إلى آخر، والذي قد يبرز مظاهر الاختلاف أكثر في تجليات المواطنة بيننا وبين الغرب اختلاف مصادر للقانون المحدد للحقوق والواجبات في إطار الدولة الوطنية.

ومهما يكن الأمر، فإن المواطنة ترتبط بوعي الإنسان بوجوده داخل وطنه، على أنه أصيل في بلده ليس مجرد مقيم يخضع لنظام معين، هذا

(1) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة الكواري وآخرون، ص(31)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(14).

(2) «المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية»، علي خليفة الكواري وآخرون، ص(31)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(14).

الوعي بالمواطنة يعتبر نقطة البدء في تشكيل نظرته لنفسه ولبلاده ولشركائه⁽¹⁾، ثم يأتي التفاعل داخل الجماعة الوطنية والمشاركة في صناعة منظومتها القانونية، وهي العملية التي من شأنها أن تجسد مفهوم المواطنة، فالمواطنون هم الذين يضبطون مسيرة الوطن ويصنعون القانون، والقانون هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة.



المطلب الثالث: أبعاد المواطنة في الفكر الإسلامي

يقوم مفهوم المواطنة على ثلاثة أبعاد، وكل بُعد غير منبث الصلة عن غيره، حيث تتعدد نقاط الاشتراك:

(1) البعد القانوني للمواطنة:

يقوم البعد القانوني للمواطنة على تنظيم العلاقة بين الحكام والمحكومين استناداً إلى عقد اجتماعي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع، ويرتكز على الانتماء؛ بمعنى: شعور الإنسان بالانتماء إلى مجموعة بشرية ما وفي مكان ما (الوطن) على اختلاف تنوعه العرقي والديني والمذهبي؛ مما يجعل الإنسان يتمثل ويتبني ويندمج مع خصوصيات وقيم هذه المجموعة، ويقتضي الأمر تغليب الانتماء الوطني على الانتماءات الفرعية

(1) «نشأة مبدأ المواطنة في مصر»، ولیم سلیمان قلادة، ص(11)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(14).

الأخرى⁽¹⁾؛ فمعامل المواطنة يزداد وينقص تبعا لوجود الوعي بأهمية الانتماء، ولذا لا بد من توضيح أهمية انتماءات الفرد وإبراز قيمه الأساسية على اعتبار أنها تشكل الدافع الأساسي لتحقيق المواطنة الفاعلة.⁽²⁾

وينتج عن مراعاة البعد القانوني في المواطنة تقرير المساواة أمام القانون بين جميع أفراد المجتمع في حقوقهم وواجباتهم، دون تمييز بسبب الثقافة أو اللون، أو العرق، أو اللغة، مع مراعاة مبدأ التوازن في الحقوق والواجبات للفرد والدولة على حد سواء، والتطوير المستمر لمحتوى نظام الحقوق والواجبات المتبادلة بين المواطنين والدولة بما تقتضيه المصالح من تطور وتنوع⁽³⁾، ثم إن تأسيس المواطنة على العدل يجعل منه ضامنا قانونيا وقضائيا للحفاظ على الحرية والمساواة وحمايتهما من التعسف والانحياز الذي يقود إلى اللامواطنة.⁽⁴⁾

هذا، وإن البعد العقائدي للحقوق والواجبات في الشريعة الإسلامية يعدّ ضمانة وحماية لمقتضيات المواطنة⁽⁵⁾، كما أن المرجعية الفقهية الإسلامية في كل قطر كفيلة بضبط الأحكام المتعلقة بالحقوق والواجبات

(1) «مفهوم المواطنة»، شبل بدران، القاهرة: الهلال، ع(1)، يناير (2006م)، ص (86-87).

(2) «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(23).

(3) «مفهوم المواطنة»، شبل بدران، مقال سابق، ص (86-87).

(4) «نظام الحكم في الإسلام»، حسن بسيوني، ص(84)؛ بواسطة: «مفهوم المواطنة في الإسلام»،

عمر سيدي، مقال سابق، ص(11).

(5) «مفهوم المواطنة في الإسلام»، عمر سيدي، مقال سابق، ص(4).

في الإسلام وتهيئتها لتكون مادة أولية في خدمة جهود التقنين.

وعلى سبيل التمثيل لمتطلبات البعد القانوني للمواطنة يجب التكفل بـ:

- الحقوق: التمتع بحقوق المواطنة الخاصة والعامة؛ كالحق في الأمن والسلامة، والصحة، والتعليم، والعمل، والخدمات الأساسية العمومية، وحرية التنقل والتعبير، والمشاركة السياسية...

- الواجبات: كاحترام النظام العام، والحفاظ على الممتلكات العمومية، والدفاع عن الوطن، والتكافل والوحدة مع المواطنين، والمساهمة في بناء وازدهار الوطن.

- المشاركة في الفضاء العام: المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية (الانتخاب والترشيح)، وتدير المؤسسات العمومية، والمشاركة في كل ما يهم مصير الوطن.⁽¹⁾

ثم إن أي خلل في التكفل بالبعد القانوني يجعل الفرد يشعر بانعدام القيمة والمكانة والدور في المجتمع (انعدام المواطنة)، وهذا من شأنه أن يكرس حالة من الاغتراب، تأخذ أبعاداً اجتماعية متفاوتة الخطورة، منها⁽²⁾:

(1) <http://www.almichaal.org/spip.php?article289>

(2) «قيم المواطنة من خلال تمثلات الشباب»، فرفار جمال، ص (83)؛ «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص (25-26).

أ - انعدام القوة: ليس بإمكان الفرد التأثير على مستوى المواقع والمواقف المحيطة به.

ب - فقدان المعنى: عجز الفرد عن الوصول إلى قرار أو معرفة ما ينبغي فعله.

ج - فقدان المعايير: التجاء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة لتحقيق أهدافه.

د - العزلة: انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائدة وتبني مفاهيم مخالفة، مما يعني أن الفرد غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة.

هـ - غربة الذات: إدراك الفرد أنه أصبح مغتربا حتى عن ثقافته ومبادئه وبالتالي أهدافه وقيمه.

(2) البعد الاقتصادي والاجتماعي للمواطنة:

يستهدف هذا البعد إشباع الحاجيات المادية الأساسية للناس، ويحرص على توفير الحد الأدنى اللازم منها ليحفظ كرامتهم وإنسانيتهم؛ ويقتضي التزام العدل والمساواة والحرص على المشاركة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، وذلك من خلال إتاحة الفرص للجميع بعيداً عن التمييز والتعصب أو الإقصاء.

وإن العدل والمساواة مطلوبان في كل الأنشطة والبرامج والحقوق والواجبات والفرص والامتيازات؛ ذلك أن تحقيق المساواة يورث في

النفوس الرضا عن الشركاء في المجتمع، وانتفاء قويا للوطن، ودفعاً نحو العمل الصالح. أما التفريط في تحقيق ذلك فإنه يورث في النفوس الحقد لما يحدثه من شعور بالظلم، كما يورث الزهد في الانتماء لهذا الوطن ومصالحه. ويتولد عن هذا المسلك ارتخاء في الشعور بالانتماء للوطن إن لم يكن سعي في التقاعس عنه والإضرار به جراء الإحساس بمرارة الظلم، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في ملاحظته الشهيرة بأن فشوا الظلم في المجتمع مؤذن بخراب العمران.⁽¹⁾ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

ومع هذا التعميم القاطع في الأمر بالعدل، جاء الأمر أيضاً متواتراً مطرداً في القرآن الكريم على صفة التفصيل، بحيث شمل كل أنواع العلاقات بين أطراف المجتمع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: 152]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، عبد المجيد النجار، ص (174).

تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [المتحنة: 8].

وهذا كله يثبت حقيقة أن العدل إنما شرع ليشدّ مكونات الهيكل الاجتماعي شدًّا قويًّا يكون به هذا الهيكل محفوظًا من التفكك متماسكًا في أداء مهمة الخلافة في الأرض.⁽¹⁾

ومن الوسائل الداعمة لهذا البُعد: تشجيع التكافل والتلاحم الاجتماعي، من خلال قيام الأفراد وهيئات الدولة ومؤسساتها بتلبية حاجات من يعاني خصاصة مادية، بتوفير حد الكفاية من ضرورات الحياة حفظًا للكرامة الإنسانية، وكذا من الناحية المعنوية بالمواساة عند الشدائد والكروب.

وهذا التكافل من شأنه أن يحافظ على الكيان الاجتماعي قويًا، ويسر على الفرد القيام بمهمة التعمير، فإذا ما فشا الضعف بشيوع الاحتياج والتشرد والتهميش فإنه ينعكس خطراً محدقاً بالبنیان الاجتماعي؛ ذلك أن الشعور بالحرمان والغبن قد يؤدي إلى مظاهر سلوكية خطيرة من الاعتداء والنزاع، وقد يؤدي إلى الفتنة التي تذهب بالوطن والمواطن والمواطنة.⁽²⁾

ومن ثم كان مسلك التلاحم والتكافل قاطعاً لأسباب التشرد بما يوفره من سبل التراحم والتقارب داخل المجتمع، فجاء الإسلام في نطاق

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، عبد المجيد النجار، ص (175).

(2) المرجع نفسه، ص (176).

العلاقات الاجتماعية موجهها إلى التكافل على سبيل الأمر الواجب منذ بدايات الوحي الأولى في العهد المكي، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يُخْصُّ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ [الماعون: 1-3]، وقال أيضا: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: 11-16].

وهذا كله مؤثر على أهمية وحدة الرابطة الاجتماعية ودورها في حفظ المجتمع ومقاصد التشريع. وقد امتدَّ هذا التوجه في مختلف مستويات التكليف الفردي والجماعي من خلال تشريع جملة من الحقوق لصالح ضعفاء المجتمع بشكل دوري ثابت يضمن تحقيق الهدف كأحكام النفقة والزكاة وحقوق الجوار ونحو ذلك.⁽¹⁾

(3) البعد الثقافي والحضاري للمواطنة:

يهدف البعد الثقافي والحضاري للمواطنة إلى مراعاة الجوانب الروحية والنفسية والمعنوية للأفراد والجماعات، على أساس احترام خصوصية الهوية الثقافية والحضارية، ورفض محاولات الاستلاب والتهميش والتنميط، بل يتطلب هذا البعد من الفرد ألا يقتصر على تحقيق مجرد الانتماء وإنما يرفع من منسوبه إلى الولاء بأن يدين كل شخص بولائه لوطنه، ويعتز بهويته وحضارته بما فيها من تنوع وثراء وخصوصية.

(1) «مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة»، عبد المجيد النجار، ص (176-179).

كما أن ارتباط المواطنة بالخبرة التاريخية من شأنه أن ينمي إحساس الأفراد بالأهداف العامة للجماعة الوطنية، ومن ثم تحقيق المشروع الوطني للتنمية، وإعلاء حقّ الوطن قبل حقوق الأفراد، والإحساس بالتطور والنمو داخل الدولة الوطنية، وهذا ما يفسر العلاقة بين قيم المواطنة وتدرجها لفهم حقيقة وجود الإنسان داخل مجتمعه.⁽¹⁾

وإن التنوع الثقافي يعتبر مصدر قوة وإغناء وثراء للذاكرة الجماعية⁽²⁾، وتقوم التربية الوطنية بدور مركزي في تحقيق هذا الثراء الذي يتمثل في ضرورة الاعتراف بالتنوع الثقافي واحترامه؛ فيكون التركيز على الكرامة الإنسانية وقيمة الإنسان مهما كان انتهاؤه وثقافته، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].



(1) «المواطنة ومسألة الأقليات»، الهادي دوش، ص(23).

(2) «الدين والإثنية والتوجهات الإيديولوجية في العراق من العمل إلى التكامل»، فالح عبد الجبار، ص(24).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أخلص إلى جملة من النتائج والتوصيات يمكن عرض أهمها فيما يأتي:

أولاً- أهم النتائج:

1- إن غياب مصطلح المواطنة في القاموس السياسي الإسلامي الموروث لا يعني غياب مضمونه وجوهره في المرجعية الإسلامية.

2- منهج القرآن الكريم يفتح المجال واسعا للجمع بين مقتضيات الوحدة والعيش المشترك، واعتبارات التنوع الجنسي والفكري والثقافي، على أساس من الحرية والعدل والمساواة.

3- إن مبدأ المواطنة في الفكر الإسلامي يقوم على أساس ضرورة وحدة الأصل الإنساني والمصالح المشتركة، وتحقيق العدالة والمساواة بين كيانات المجتمع.

4- إن الانفعال في معالجة مشكلات المواطنة يزيد في الإرباك، ويقضي على التماسك والانضباط، ويحصر دعوة الإسلام في إطار طائفي لا عقائدي.

5- إن إنكار مبدأ المواطنة في الفكر الإسلامي لا يساعد عليه نص شرعي؛ فيبقى على أقل تقدير (تجوزاً) ضمن زمرة المباحات، ثم يرتفع تقديره عند اقتضاء الضرورة والمصلحة؛ فالإسلام يستدعي ويتطلب في

إقامته: الوطن والوطنية والمواطنة.

6- مبدأ المواطنة سبيل لتحقيق المصالح العليا للأوطان بعيدا عن جميع صور الافتراق وأشكال التشطي الاجتماعي، فيندرج ضرورة ضمن وسائل تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية العليا، وللوسائل حكم مقاصدها ضمن الضوابط الشرعية.

7- إن المواطنة ترتبط بوعي الإنسان بوجوده داخل وطنه، على أنه أصيل في بلده ليس مجرد مقيم يخضع لنظام معين، هذا الوعي بالمواطنة يعتبر نقطة البدء في تشكيل نظرتة لنفسه ولبلاده ولشركائه، ثم يأتي التفاعل داخل الجماعة الوطنية والمشاركة.

8- إن أي خلل في التكفل بالبعد القانوني للمواطنة يجعل الفرد يشعر بانعدام القيمة والمكانة والدور في بلده (انعدام المواطنة)، وهذا من شأنه أن يكرس حالة من الاغتراب، قد تأخذ أبعاداً اجتماعية خطيرة.

9- ارتباط المواطنة بالخبرة التاريخية من شأنه أن ينمي إحساس الأفراد بالأهداف العامة للجماعة الوطنية، ويسهل التحقق بالوطنية والمواطنة.

10- يقتضي تحقيق البعد الاقتصادي والاجتماعي للمواطنة تشجيع ومأسسة ما يحقق التكافل والتلاحم الاجتماعي، وتوفير حد الكفاية من ضرورات الحياة حفظا للكرامة الإنسانية.

ثانيا- أهم التوصيات:

- 1- الدعوة إلى تكثيف العمل لتأهيل المواطن الذي يدين لوطنه بالولاء، ويفسح مجالا أكبر من الاحترام والثقة للثقافة الوطنية.
- 2- القضاء على الفساد المرتبط بالتمييز أو التهميش تجاه فئات من المواطنين، وذلك بالتركيز على القيم الوطنية ومحاربة الفساد والمحاباة.
- 3- إن التحولات التي تشهدها البلدان العربية والإسلامية قد أبرزت إلى السطح مشاهد لنزعات التعصب والتطرف وإلغاء الآخر في تغييب كامل لمقتضيات المواطنة؛ مما يتطلب المرونة في التواصل واللقاء في علاقات الجماعة الوطنية، وإثارة قضاياها لأجل النقاش العلمي والحوار الإيجابي بعيداً عن الشحن الإعلامي.
- 4- ترسيخ أخلاقيات الشعور بالواجب الوطني وتعميقها على المستوى الفردي والجماعي، وتأكيد التربية على المواطنة في مشاريع التنشئة الاجتماعية.
- 5- ضرورة اليقظة والحذر من النصائح الملزمة القادمة من الخارج التي تعزف على وتر التسامح والاعتدال؛ فقد يعني الأمر عندهم: ضرورة التفريط في الثوابت، وفي الرصيد الفكري والحضاري، والانخراط والتحرك كتوابع ضمن المعادلات الدولية والإقليمية المرسومة.



قائمة مصادر ومراجع البحث

- القرآن الكريم.

-أولاً: الكتب

- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق: د. محمد عمارة: ط:1؛ القاهرة: دار السلام، 2005م.
- التجدد الحضاري: دراسات في تداخل المفاهيم المعاصرة مع المرجعيات الموروثة: طارق البشري، ط:1؛ بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2015م.
- التربية على المواطنة وشروطها في الدول المتجهة نحو الديمقراطية: أدونيس العكر، ط1. بيروت: دار الطليعة، 2007م.
- حقوق الإنسان وحياته الأساسية: هاني سليمان الطعيمات، ط1. عمان: دار الشروق، 2000م.
- الدين والاثنية والتوجهات الإيديولوجية في العراق من العمل إلى التكامل: فالح عبد الجبار، أبوظبي: مركز الإمارات للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2004م.
- في التربية والسياسة: متى يصير الفرد في الدول العربية مواطنًا؟: ناصيف نصار: ط02. بيروت: دار الطليعة، 2005م.
- في النظام السياسي للدولة الإسلامية: د. محمد سليم العوا، ط3، القاهرة:

- دار الشروق، 1428 هـ 2008 م.
- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، لا.ط؛ بيروت: دار الفكر، 1415 هـ/1995 م.
 - القيم ومسؤوليات المواطنة: عبد الودود مكروم، ط1؛ القاهرة: دار الفكر العربي، 2004 م.
 - لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، لا.ط؛ القاهرة: دار المعارف، د.ت.
 - مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية: عبد الكريم بكار، ط2؛ دمشق: دار القلم، 1422 هـ/2001 م.
 - المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، ط:2؛ القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1392 هـ/1972 م.
 - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: د. محمد عمارة: ط:4؛ القاهرة: نهضة مصر، 2004 م.
 - مفهوم المواطنة وحقوقها وواجباتها وقيمها بين الفكر السياسي الإسلامي والدولة القومية الحديثة: صالح حسن المسلوت، ضمن كتاب: أعمال الملتقى الدولي السادس حول فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1، الجزائر، ج1، 2013 م.
 - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة: د. عبد المجيد النجار، ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006 م.
 - المواطنة في الإسلام: د. سعيد إسماعيل علي، ط:1؛ القاهرة: دار السلام،

1432هـ/2011م.

- المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين - دراسة فقهية نقدية - :
د. صلاح الدين سلطان، ط1 بيروت: دار ابن حزم، 1429 هـ 2008م.
- المواطنة موضوعاً للفكر والبحث.. الخطاب الإسلامي في مصر: عماد الدين شاهين، ضمن كتاب: المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية- رؤى جديدة، تحرير: علا أبو زيد، وهبة رؤوف عزت، ج1، ط1؛ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005م.
- المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية: علي خليفة الكواري، وآخرون، ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004م.
- المواطنة والعولمة بين تعزيز الانتماء الوطني وتحقيق التواصل الحضاري: أحمد جاب الله، ضمن كتاب: أعمال الملتقى الدولي السادس حول فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة1، الجزائر، ج2، 2013م.
- المواطنة ودورها في تكامل المجتمعات التعددية: أمين فرج شريف، ط1؛ القاهرة: دار الكتب القانونية، 2012م.
- موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي، وآخرون، ط2؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993م.
- الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من الباحثين، ط2، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1419هـ/1999م.
- نظام الحكم والإدارة في الإسلام: محمد مهدي شمس الدين، ط4؛ بيروت:

المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، 1995م.

ثانيا: الرسائل الجامعية

- قيم المواطنة من خلال تمثلات الشباب: جمال فرفار، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2005.
- المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر: بتول حسين علوان، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية بإشراف: جهاد الحسني، جامعة بغداد، العراق، 1427هـ / 2006م.
- المواطنة ومسألة الأقليات: الهادي دوش، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2008م.

ثالثا: المقالات

- آفاق المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر: رضوان السيد، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 54، السنة 14، سبتمبر 2016م.
- التكييف الفقهي للمواطنة والجنسية: خالد فايت حسب الله، مجلة القلزم للدراسات السياسية والقانونية، السودان: مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، العدد 08، يونيو 2021م.
- صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة: عبد الله بن بية، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 50، السنة 13، خريف 2015م/1436هـ.
- المعالجة الإسلامية لإشكالات المواطنة – رؤية تحليلية معاصرة: سامر مؤيد

عبد اللطيف، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء، العراق، العدد 1، 2010م.

• مفهوم المواطنة في الإسلام: عمر سيدي، مجلة المفكر للدراسات القانونية والسياسية، جامعة خميس مليانة، الجزائر، مجلد 3، عدد 3، 2020م.

• مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الإسلامي: فينان نبيل، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 44، السنة 12، ربيع 2014م/1435هـ.

• مفهوم المواطنة: شبل بدران، مجلة الهلال، القاهرة، ع 01، يناير 2006م.
• المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي: بديعة علي أحمد الطملاوي، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، القاهرة، العدد 38، أكتوبر 2021م.

• موقف الفكر الإسلامي المعاصر من المواطنة: عمر حمدان، وبتول حسين علوان، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية بجامعة بغداد، مج 20، عدد 85، 2021م.

• نشأة مبدأ المواطنة في مصر: وليم سليمان قلادة، القاهرة: المواطنة، عدد 1، 1998م.



البحث الثالث

نحو تفعيل قيم المواطنة
في المجتمعات المعاصرة

– رؤية إسلامية – (*)

(*) بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي حول "قيم المواطنة والعيش المشترك في الإسلام، تحت شعار: "نحو بناء مجتمعات متماسكة ومتسامحة"، المنظم من قبل كلية العلوم الإسلامية بجامعة أكاديميون العالمية، في الفترة (29-31) ديسمبر (2025م).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تواجه المجتمعات المعاصرة تحديات متزايدة في ضوء المتغيرات المحلية والدولية، وبتأثير كبير من ثورة الاتصالات الحديثة وما أنتجته من وسائل متنوعة؛ مكّنت لعناصر متعددة الأغراض من تبني مسالك تسعى إلى الحفر في أساسات الدولة والهوية، وتضرب في العمق بما يزعزع قيم المواطنة لدى الناس.

وفي ظل (لظى) هذه العولمة، والصراعات، وضعف الانتماء، واتساع الفجوة بين الدعوة إلى القيم وبين ممارستها - في معمة كل هذا الزخم - تقدّم الرؤية الإسلامية حُزمة من المبادئ والضوابط التي يمكن أن تسهم بفاعلية في تعزيز قيم المواطنة الإيجابية المتوازنة، القائمة على العدل والحرية والمساواة وحفظ الكرامة الإنسانية.

ولقد تعددت جهود معالجة تلك المشكلات، انطلاقاً من توصيفها وتحليل أسبابها وصولاً إلى تتبع آثارها في مختلف مناسبات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ لكن السؤال الذي يبقى يلحّ دائماً هو: هل تجسّدت تلك الأفكار والحلول في أرض الواقع؟

يظهر لنا أن المشكلات الموصوفة لا تزال قائمة بشكل أو بآخر؛ مما يؤكد أن الحلول المقترحة لم تجد سبيلها إلى التطبيق الميداني، أو أنها حلول جزئية غير مكتملة؛ مما يستدعي إعادة بحث وإثارة الموضوع من جديد.

ولعل هذه الورقة البحثية الموجزة تسهم - إلى جانب أوراق هذا المؤتمر - في التوجيه إلى الجانب العملي الذي يحتاج فعلاً إلى مزيد عناية؛ حيث إن ديننا الحنيف يوجّه إلى العمل ويؤكد عليه، في الوقت نفسه يحذر من الاشتغال بالجدل الذي لا يترتب عليه عمل مثمر.

وبناء عليه جاء السؤال الذي تشغل عليه هذه الورقة على الشكل الآتي:

- كيف يمكن تفعيل قيم المواطنة في المجتمعات المعاصرة وفق الرؤية الإسلامية؟

ويقوم منهج المعالجة البحثية على استثمار نتائج الوصف والتحليل لكم لا بأس به من الرصيد الوثائقي في الموضوع؛ لأجل استنتاج جملة من المقترحات العملية، تكون بمثابة مؤشرات على تفعيل الميداني لقيم المواطنة في المجتمعات المعاصرة.

ورأيت أن أقسّم العمل إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: المفهوم الإسلامي للمواطنة.

المطلب الثاني: تحديات المواطنة في المجتمعات المعاصرة.
المطلب الثالث: الأسس الشرعية لتفعيل المواطنة من منظور إسلامي.
المطلب الرابع: مقترحات عملية لتفعيل قيم المواطنة في المجتمع الإسلامي المعاصر.
خاتمة.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ.



المطلب الأول

المفهوم الإسلامي للمواطنة

يقتضي بيان مفهوم المواطنة في الإسلام التقديم بيان معنى المواطنة في اللغة العربية؛ حيث تطلق الكلمة على معان ثلاثة هي⁽¹⁾:

1- الموافقة: قال الزمخشري (توفي 538هـ): «واطئته على الأمر وافقته». وقال ابن منظور (توفي 711هـ): «واطن على الأمر أضمر فعله معه، فإذا أَرَادَ معنى وافقه قال: وطاء».

2- الإقامة في مكان ما، سواء أكانت الإقامة دائمة أم مؤقتة. قال الفيروز آبادي (توفي 817هـ): «الوطن: منزل الإقامة... والجمع أوطان...»

(1) «أساس البلاغة»، للزمخشري، ص(503)؛ «لسان العرب»، لابن منظور، (451/13)؛ «القاموس المحيط»، للفيروز آبادي، ص(1116). كلهم في مادة: "وطن".

وأوطنه ووطنه واستوطنه: اتخذه وطنا. ومواطن مكة موافقها، ومن الحرب مشاهدتها، وتوطن النفس تمهيدها.

3- حبّ المكان الذي يقيم فيه الإنسان. قال الزمخشري (توفي 538هـ): وطن: كلّ يحبّ وطنه، وأوطان وموطن ومواطنة، والإبل تحنّ إلى أوطانها. ومن المجاز استعملها في مرابض الغنم ومشاهد القتال.

والظاهر أن تلك المعاني الثلاثة تندرج ضمن ما استقرّ عليه مجمع اللغة العربية في تعريف الوطن بأنه: مكان إقامة الإنسان ومقرّه، وإليه انتماءه ولد به أم لم يولد.

أما كلمة واطن فتزد بمعنى: أن يعيش مع قوم في وطن واحدة؛ ففي «المعجم الوسيط»⁽¹⁾ أنها محدثة، بمعنى أنها جديدة في هذا الاستعمال.⁽²⁾

وإذا أردنا أن نعرف المواطنة في الإسلام على وجه الخصوص فإنه ينبغي الانطلاق من القواعد والأسس التي تبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة وهما: الوطن والمواطن⁽³⁾؛ وبالتالي يمكن القول بأن

(1) «المعجم الوسيط»، لإبراهيم أنيس وآخرون، (1085/2)، مادة: "وطن".

(2) ينظر: «المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين - دراسة فقهية نقدية»، لصالح الدين سلطان، ص (11 - 13).

(3) «المعالجة الإسلامية لإشكالات المواطنة: رؤية تحليلية معاصرة»، لسامر مؤيد عبد اللطيف، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء، العراق، العدد (1)، (2010م)، ص (2).

المواطنة تعبير عن الصلة التي تربط الفرد بأمته وبقيادتها وبأرضها وما يترتب عن تلك الصلة من حقوق وواجبات.

ولئن كانت الصلة عضوية بين المواطنة والوطن والمواطن؛ فإن الوطن لا يقتصر على القطر الذي يعيش فيه الإنسان وينسب إليه سياسيا، ويخضع لسلطة قانونه، ولكن الوطن قد يتسع مدلوله فيتجاوز هذا القطر، وقد يكون أضيق منه.⁽¹⁾ وتبعاً لهذا تكون المواطنة دوائر ومستويات تبدأ بعضوية الأسرة وتنتهي إلى الانتماء إلى الوطن الكبير (الأمة)، ثم تتسع شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الدائرة الإنسانية.⁽²⁾

هذا، ويذهب "برنارد لويس" إلى أن مصطلح المواطنة غريب تماماً عن الإسلام، بل لا وجود لمرادف له (Citizenship) في اللغة العربية.⁽³⁾

والظاهر أن أي باحث متوسط الاطلاع بإمكانه أن يقف عند الدور الفاعل الذي قامت به الشرائع السماوية – ومنها الإسلام – في تشكيل مضامين المواطنة وإثرائها من خلال المبادئ التي سعى الأنبياء والرسل

(1) «الدين والمجتمع»، لأحمد الشرباصي، ص(39).

(2) المواطنة في الإسلام، لسعيد إسماعيل علي، ص(19، 31).

(3) Bernard Lewis, "Islam and Liberal Democracy: A Historial Overview", Journal of Democracy, vol.7, no.2 (1996)، pp.52-63.

نقلاً عن: «المواطنة موضوعاً للفكر والبحث.. الخطاب الإسلامي في مصر»، لعبد الدين شاهين، ضمن كتاب: «المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية – رؤى جديدة»، تأليف جماعي، (130/1).

إلى تثبيتها كمبادئ العدالة والمساواة والإنصاف، وتوسيع دوائر الانتماء من دوائر ضيقة كالعائلة، والقبيلة والعرق... إلى روابط فسيحة كرابطة الأمة والدين العالمي.⁽¹⁾

ولئن كان مفهوم المواطنة نشأ وتبلور بالصورة الحالية مع ظهور الدولة الحديثة؛ إلا أن تقديم الفكر الإسلامي له كان بشكل مختلف، يتعدى في كثير من الأحيان حدود الدول وجغرافيتها، ويتجاوز ما يختلف الناس فيه عرقاً أو جنساً أو لغة أو لوناً؛ حيث إنه منذ فجر الإسلام وفكرة المواطنة كهوية وانتماء لجماعة تعتبر جزءاً من المجتمع السياسي، وأن فكرة الحقوق والالتزامات كانت معروفة وواضحة المعالم آنذاك⁽²⁾، بغض النظر عن التطبيقات التاريخية التي تبين مستوى الالتزام بمقتضيات المواطنة فيها، حيث كانت الغلبة لدولة الفرد في مقابل الرعاية ردحا من الزمن، وفيها ضمور لكثير من العناصر الفاعلة التي تحقق مقتضيات المواطنة.

لكن المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة، وكذا تطورات الفكر الإسلامي والإنساني؛ ألجأ كل هذا إلى إحداث مفاهيم

(1) «المواطنة في الفكر الإسلامي: اتجاهاتها وأبعادها»، لإبراهيم رحامي، ضمن كتاب: المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، تأليف جماعي، تونس: مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، (2025م)، ص(63).

(2) «المواطنة موضوعاً للفكر والبحث.. الخطاب الإسلامي في مصر»، لعهاد الدين شاهين، مرجع سابق، (130/1)؛ «المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي»، لبديعة علي أحمد الطملاوي، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، عدد (38)، أكتوبر (2021م)، ص(566).

جديدة، إضافة إلى تطوير مفاهيم قائمة، ولعل فكرة المواطنة بمعناها الحديث جاءت في هذا السياق.

ويمكننا القول بأن المواطنة في الإسلام ليست مجرد رابطة قانونية بين الفرد والدولة، بل هي علاقة أشمل وأعم تقوم على:

- العدل والمساواة؛

- حفظ الكرامة الإنسانية؛

- المسؤولية المتبادلة؛

- الانتماء للوطن؛

- احترام التعددية.

وقد جسّدت وثيقة المدينة أوّل دستور ينظم علاقة المواطنين – مسلمين وغير مسلمين – على أساس الحقوق والواجبات المشتركة.

ولا شك أن مبدأ المواطنة سبيل لتحقيق المصالح العليا للأوطان بعيدا عن جميع صور الافتراق وأشكال التشطي الاجتماعي، فتندرج ضمن وسائل تحقيق مقاصد الشريعة العليا⁽¹⁾، وللوسائل حكم مقاصدها ضمن الضوابط الشرعية.

إنّ صحيفة المدينة نموذج يحتذى به في التأصيل لمسألة المواطنة

(1) «المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي»، لبديعة علي أحمد الطملاوي، مرجع سابق، ص(578).

التعاقدية في الفكر الإسلامي، لأجل تفعيل المشترك الإنساني، وتحييد عناصر الإقصاء والطرْد، "فهي اتفاق أتى من غير حرب ولا قتال ولا عنف ولا إكراه، اتفاق تداعت إليه أطرافه طوعية للالتفاف حول المبادئ التي تضمنها ضمن دائرة التفاعل الإيجابي مع الواقع، ومع مكونات مجتمع المدينة، وتحقيق السلم الاجتماعي القائم على الاعتراف المتبادل بالحقوق والواجبات، والقبول بما يفرضه التنوع من اختلاف العقائد والمصالح وأنماط الحياة، مع وجود مرجعية حاكمية يفىء إليها الجميع حال التنازع والاختلاف".⁽¹⁾

"إن وثيقة المدينة كفلت حق المواطنة لكل من هو على أرض المدينة، وهذا يعني أن مجرد الانتماء إلى الأرض هو أحد مقومات المواطنة، إضافة إلى الولاء الذي يمكن النظر إليه بوصفه دوائر ومراتب بإمكانها أن تتواصل وتتفاعل بدلا من أن تتصادم وتتقاتل".⁽²⁾

ولما كان ظاهرا وجود ارتباط قوي بين المنهج الإسلامي والوطن؛ إقامة الدين لا تتأتى إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا، وأصبح الانتماء الوطني بعدا من أبعاد الانتماء الإسلامي العام... فالوطن ضرورة

(1) «صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة»، لعبد الله بن بية، مجلة التفاهم، عدد (50)، (2015م)، ص(22).

(2) المرجع نفسه. وينظر: «الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق»، لمحمد عمارة، ص(180).

لإقامة دنيا الإسلام وعمرانه، وضرورة الدين ليكون الوطن إسلاميا وتحقق إسلامية عمرانه⁽¹⁾؛ ومع هذا فإن بعض المتممين إلى تيارات فكرية تغريبية يعتقدون أن الإسلام ينكر مفهوم المواطنة، ويحرم غير المسلمين من حق المواطنة في حالة إقراره بها، لأنه - حسب ظنهم - يستند إلى مفهوم الأمة القائمة على أساس ديني، ويلغى ما سواها، ويدعو إلى وحدة دينية مطلقة.

غير أن هذا الرأي لا يستند إلى أساس صحيح؛ فالإسلام بدعوته إلى المساواة وتحقيق العدالة والتكريم للإنسان لا يميز ولا يفصل بين الناس. ولما يقرر تمييز المسلمين بكونهم أمة فإنما ذلك على أساس من التكاليف الشرعية المطالبين بها وفقا للانتماء العقدي ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:92]. وهذا الانتماء للأمة لا يلغي به الانتماء للأسرة والعشيرة والقبيلة والشعب. ومن ثم فعلاقة الانتماء تقوم على التكامل لا على التناقض والإلغاء. فالإسلام لا يلغى الوطنية باعتبارها علاقة انتماء إلى وطن أو القومية باعتبارها علاقة انتماء إلى أمة بل يحددهما فيكملهما ويغنيهما. وطبقا لهذا فإن الإسلام يقرر أن انتماء المسلمين إلى الأمة الإسلامية لا يلغى انتماءهم إلى قوميتهم الأخرى.⁽²⁾



(1) «معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام»، لمحمد عمارة، ص (194 - 195).

(2) <http://www.mugrn.net/vb/showthread.php?t=26731>

المطلب الثاني

تحديات المواطنة في المجتمعات المعاصرة

إنّ التحولات الاجتماعية المتسارعة، والتغيرات الإقليمية والدولية؛ أنتجت أوضاعاً يسودها قدر كبير من القلق والخوف، وغياب الثقة في المستقبل (عند تراجع منسوب الإيمان)، كما أضعفت العلاقات والروابط الاجتماعية.

وتشكل المواطنة منطلقاً للروابط الاجتماعية التي تقتضي أن يشترك أفراد المجتمع في القيم الناظمة لمقتضيات المواطنة. وهذه القيم ليست محايدة لأنها نتاج تصورات مختلفة عن الحق، العدالة، والخير، والمسؤولية ونحوها.

ولئن كانت قيم المواطنة تمثل الركائز الأساسية لبناء التوافق المشترك واتخاذ القرار في المشاركة في الحياة الاجتماعية؛ إلا أن تراجع رصيد تلك القيم أو انهيارها في الأوضاع الحضارية والتاريخية المأزومة يؤدي إلى سوء تكييف تلك القيم أو البحث عن قيم جديدة تتأقلم مع الأوضاع الجديدة (الحرية الفردية - العدالة الاجتماعية - مبررات شراء السلم الاجتماعي... إلخ).⁽¹⁾

ومن جهة أخرى نجد أن حجم التحديات المعاصرة، وخاصة ما تعلق

(1) «التربية على المواطنة في عالم متغير»، ليلي أسعد وطفة، ص (2).

بالتحولات الاجتماعية يولد العجز عن المحافظة على قيم المواطنة، والعجز أيضا عن بناء قيم ثابتة حاضنة لمصالح المجتمع والدولة. ومن هنا نجد حالات من الإكراه التي يتعرض لها الفرد، الأسرة، المجتمع، والدولة تدفع إلى إحداث تغييرات في قيم المواطنة (الاستبدال - التكييف - الرتبة...)، وهي غير مأمونة العواقب من حيث الأثر والدور في أوضاع الإكراه المذكور.

هذه التحديات وغيرها⁽¹⁾، تجعل من الضروري إعادة إحياء القيم الإسلامية الأصيلة التي تعزز المواطنة الواعية.



المطلب الثالث

الأسس الشرعية لتفعيل المواطنة من منظور إسلامي

يمكن الاستناد إلى عدد من المبادئ القرآنية والنبوية التي تُعطي المواطنة إطارها الشرعي، أهمها:

1. العدل أساس المواطنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:90]، فالعدل

(1) ينظر أيضا بشأن التحديات: «جدلية المواطنة ومقصد حفظ الأمة في الفكر الإسلامي المعاصر»، لمنوبة برهاني، ضمن الكتاب الجماعي: «فقه المواطنة في أصول الشريعة ومقاصدها»، ص(171-176).

مطلوب مع الجميع بغض النظر عن الدين أو الخلفية.

ولئن كان إطلاق مصطلح العدل في استعماله عند الناس اليوم يوجه الذهن مباشرة إلى الحاكم والقاضي وكأنهما الوحيدان المعنيان بتحقيقه؛ فإن العدل مطلوب من الجميع، والمنطلق يكون من النفس، وهو أمر من الله تعالى نتعبد به، وليس نتيجة لنضال شعب أو تكرّم سلطة.

2. كرامة الإنسان:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]. فالكرامة حق لجميع المواطنين، وهي أساس الحقوق المدنية، والذي كرّم الإنسان هو الخالق سبحانه وتعالى؛ فلا يحق لأي كان أن يشتغل ضد هذا التكريم أو يتنقص من أطرافه، مهما تعددت الانتماءات من حيث النسب، الدين، اللغة، اللون، والموطن.

3. الشورى والمشاركة:

قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:38]، وهذا يعني إشراك المواطن في القرار العام بأي وجه من أوجه الإشراك المنتج لأخذ الرأي والتداول حول المصلحة المقصودة وسبل تحقيقها كلاً أو جزءاً.

والذي ذكرناه بشأن تداول مصطلح العدل عند الناس اليوم، ينسحب أيضاً على مصطلح الشورى؛ ومن ثم فإن الشورى لا تقتصر على تلك

المجلس الإداري والسياسية المخصصة لهذا الغرض؛ بل إنها مطلوبة وعليها يتربى الأفراد في الأسرة، المدرسة، المسجد، ومختلف المؤسسات الاجتماعية.

4. حفظ النظام العام:

لقد أرسى الإسلام بأحكامه فكرة النظام والانسجام والتوافق في جميع مناشط الحياة، ولا أدل على هذا في تشريع أحكام الصلاة ومتطلباتها من جماعة ونحوها، وكل التكاليف الجماعية التي تظهر الأمة منتظمة الحال مرغوب في الاندماج فيها والانتساب إليها.

وذلك كله يتطلب تهيؤ الأفراد إلى مزيد من القابلية والمرونة للانخراط في منظومة الجماعة، والبعد عن المشاكسة والمعاندة والمبالغة في الفردية، واختيار مسلك الطاعة في المعروف، والتشوف لحفظ نظام الجماعة، ودعم مسالك الاستقرار الاجتماعي، ما دام لا يناقض الشريعة.

5. التفاعل الإيجابي بين مؤسسات الدولة والمواطن:

الأصل أن مؤسسات الدولة هي مؤسسات خدمية تسهر على حماية مصالح المواطنين، في إطار من التعاقد القائم على الواجبات المتبادلة، والمحاسبة الأخلاقية قبل المحاسبة القانونية. وهذا يقتضي عدم النظر إلى مؤسسات الدولة على أنها كائن أجنبي عن اهتمامات المواطن وربما ينظر آخرون بأنهم خصوم لها. ولعل هذا الانطباع غير الوجيه نشأ كرد فعل

على تصرفات مواطنين يمثلون عددا من المؤسسات بطريقة غير صحيحة أو غير مقنعة؛ وبالتالي وجب على المؤسسات أن تحسن عرض مخططات عملها لمختلف مستويات المتلقين لرسائلها، وأن تسعى إلى توفير قدر لا بأس به من الإقناع والتوجيه وإدارة حلقات حوار وتعبئة تشجع على التفاعل الإيجابي، ومن ثم تتخلى عن مسلك الصلابة ومظاهر التسلط والإكراه.



المطلب الرابع

مقترحات عملية لتفعيل قيم المواطنة

في المجتمع الإسلامي المعاصر

لا شك أن تفعيل قيم المواطنة يحتاج إلى خارطة براجمية واضحة المعالم، تجعل من تلك القيم أكثر حضورا وتداولاً وتأثيراً وامتنالاً على مختلف المستويات، ووفق ما يناسب كل مستوى من إمكانات.

تلك الخارطة البراجمية المنشودة تنطلق من الفرد، وتمتد إلى النشاط الأسري، والمسجدي، والمدرسي.. وهكذا في كل المؤسسات المجتمعية... وصولاً إلى الدولة والأمة.

وإن تفعيل قيم المواطنة لا يكتفى فيه بالخطاب التوجيهي الإقناعي - وإن كان للكلمة فعلها وتأثيرها-؛ لكن مقتضيات العصر تتطلب إيجاد

ورشات عمل، ومشاريع متنوعة، وروافد توجيه، ومؤسسات يشترك الناس في أنشطتها بمقتضى المواطنة، وهي موجهة أساسا لخدمة القيم النازمة لها؛ حيث إنّ المشاريع الصغيرة والمتوسطة سواء أكانت فردية أم أسرية أم مجتمعية يكون تأثيرها عميقا إن وضعت من أهدافها:

(أ) إعلاء شأن قيم المواطنة في مختلف الأنشطة نظريا وتطبيقيا، ووضعها ضمن الأهداف المسطرة.

(ب) إزالة الغموض الذي يكتنف المصطلح (قيم المواطنة) أو توظيفه، والحرص على التزام أعلى مستويات الشفافية والوضوح.

(ج) بيان المكاسب المتوقعة التي يمكن تحقيقها في خدمة المجتمع على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

(د) فتح جسور التواصل والتعاون مع مختلف الجهود التي تقوم بها المؤسسات الرسمية لأجل ترسيخ قيم المواطنة.

(هـ) وضع برامج تدريب على المشاركة في الشأن العام، وتكون تلك البرامج ضمن مخطط العمل الفصلي أو السنوي، وإكساب العناصر القائمة على المشروع والمتعاملين معه مهارات حسن التصرف مع الأخطاء والتجاوزات وكل أشكال الظلم الاجتماعي.

وإذا أردنا أن نركز أكثر على أهم قيم المواطنة التي ينبغي استهدافها في مختلف المناشط؛ فيمكن عرض هذه المقترحات العملية في النقاط الآتية:

1. تعزيز العدالة الاجتماعية والنزاهة ومكافحة الفساد:

إن المواطنة ترتبط بوعي الإنسان بوجوده داخل وطنه، على أنه أصيل في بلده ليس مجرد مقيم يخضع لنظام معين، هذا الوعي بالمواطنة يعتبر نقطة البدء في تشكيل نظرتة لنفسه ولبلاده ولشركائه، ثم يأتي التفاعل داخل الجماعة الوطنية والمشاركة.⁽¹⁾

ومن خلال ذلك الوعي وما ينتجه من تفاعل تترسخ أخلاقيات الشعور بالواجب⁽²⁾ الوطني، وتعمق تلك الأخلاقيات على المستوى الفردي والجماعي، وتصبح التربية على المواطنة في ضوء تلك الأخلاقيات مشاريع لها اعتبارها في التنشئة الاجتماعية السوية.

هذا، وإن تعزيز العدالة الاجتماعية يقتضي جهوداً فاعلة في المجالات الآتية:

(أ) التربية على أداء الواجب الاجتماعي، وتحويل هذا السلوك -

(1) ينظر: «مفهوم المواطنة ومقومات الوطنية في الإسلام»، لإبراهيم رحمان، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، السنة: (8)، العدد: (4)، ربيع الثاني (1431هـ) / أبريل (2010م)، ص (32).

(2) ينظر: «عصرنا والعيش في زمانه الصعب»، لعبد الكريم بكار، ص (224-225).

بالمداومة عليه - إلى عادة وسجية في الفرد والأسرة، ويسهم في هذا بشكل معلن وواضح: العلماء، الأئمة، رجال التربية والتعليم، أهل الرأي والمشورة من الوجهاء... إلخ.

(ب) العناية بمسلك التكافل الاجتماعي بدرجاته المختلفة، خاصة في المناسبات التي تقتضي هذا كالأعياد، ومشاريع الزواج، والدخول المدرسي، مع تعدد واجهات هذا التكافل: (الزكاة - الصدقة - التعاون...).

(ج) التعبئة للانخراط في جهود الخدمة المجتمعية وفق المؤهلات والإمكانات المتاحة (التبرع بالمنفعة).

أما بخصوص الفساد المالي والإداري؛ فإنه عند شيوعه وانتشاره يولد حاضنة شعبية للغلاة، وبيئة مغذية للأفكار المتطرفة؛ فالفساد يقوّض المواطنة ويضعف الثقة. ولا شك أنّ الإسلام يجرم الاعتداء على المال العام، ويؤكد على الأمانة في المسؤوليات.

ومن الوسائل العملية المتاحة لجميع المواطنين لمواجهة الفساد: تقديم نماذج وقنوات لها رصيد مشرف في النزاهة، والإشادة بها، ونشر آثارها، والإعلاء من شأنها، ثم التوجيه إلى عناصر القدوة القريبة والأكثر تأثيراً: نزاهة الأب - نزاهة المعلم - النزاهة الأكاديمية المفترضة في المؤسسات الجامعية - نزاهة العامل والموظف في إدارة الشأن الذي يشرف عليه

(التحرّز من الاستفادة غير القانونية وغير الأخلاقية، والبعد عن كل الشبهات كما دعت نصوص السنة المطهرة).

وإن التاريخ الإسلامي والوطني حافل بالنماذج الممتازة التي تساعد على بناء قدوات رائدة، مما يقتضي توظيف هذا الرصيد والإشادة به في مختلف المحافل ووسائل الإعلام المتعددة.

ومن جهة أخرى تشجيع التعاون مع الهيئات التي تحظى بمصداقية في مكافحة الفساد والاحتكار، والإسهام في مختلف الوسائل التي تصبّ في اتجاه ترسيخ نظافة ذات اليد: المنشورات - دورات التدريب والتكوين للتجار وغيرهم - التظاهرات العلمية والخطب ونحوها مما يتعلق بالكسب الحلال وضرورته الشرعية وأهميته المجتمعية - مشاريع الشركات المصغرة النموذجية في متطلبات التخرّج من الجامعات ومراكز التكوين المهني.

2. تقوية دور الأسرة:

لا شك أن الأسرة هي المحضن الأول لكل مواطن، وهي مصنع القيم، ومن خلالها يتلقى الأفراد أبجديات التنشئة الاجتماعية.

وبناء عليه؛ ينبغي أن يكون الخطاب الموجّه للأسرة سواء في التعليم، الوعظ والإرشاد، الفتوى، والجمعيات الأهلية كلّ يدفع بالأسرة ويزودها بالتوجيهات والأساليب العملية لأجل تحقيق ما يأتي:

(أ) التربية على الاحترام والنزاهة وتحمل المسؤولية، وهذا بالتنشئة الاجتماعية العملية داخل عناصر الأسرة، والتدريب على مقتضياتها في التعامل المجتمعي تحت أنظار الوالدين.

(ب) تقوية الانتماء الوطني انطلاقاً من الانتماء الأسري ومتطلبات المحافظة على كرامة العائلة والنأي بها عن كل ما يشينها، وتوسع الدائرة لذوي القربى، الجيران، شركاء الوطن، الأمة... إلخ.

(ج) صناعة بيئة عائلية داعمة للحوار والهوية المتوازنة (جلسات عائلية مفتوحة).

3. ترسيخ مفهوم الانتماء الوطني، تفعيل دور المؤسسات التعليمية:

وإذا كانت الأسرة مطالبة بتقوية الانتماء الوطني؛ فإن تظافر الجهود يجعل من هذا المسلك مشروعاً وطنياً فاعلاً، يسهم فيه الجميع، وتتعدد مظاهر الإسهامات الإيجابية فيه. ومما يوجّه إليه في هذا المجال ما يأتي:

(أ) نشر القصص والتمثيلات والمنشورات في مختلف وسائل التواصل التي تمثل القدوة في حبّ الأوطان من خلال مرويّات السيرة النبوية.

(ب) تعزيز العمل التطوعي، وجعله على رأس برامج الأنشطة العملية في مختلف المؤسسات التعليمية والتربوية والإدارية ونحوها،

وتسهيل إجراءات تشكيل جمعيات العمل الخيري، وتزويد أعمالها بما يقتضي الشفافية المطلوبة، والأثر الفعال، بل مكافأة التلاميذ والطلاب والموظفين الذين يسهمون في تلك الأعمال الخيرات (تحفيزات في الترقية، في الاستفادة من الإجازات...).

(ج) غرس قيم المواطنة في مختلف المناهج الدراسية (تضمينها في المواد).

(د) تعليم مهارات الحوار واحترام الاختلاف.⁽¹⁾ (تكثيف نوادي إكساب المهارات).

(هـ) تنمية الوعي بالقانون والحقوق والواجبات، ونشر الثقافة القانونية بالأساليب الميسرة والمقنعة التي تناسب مختلف المستويات، وتزويد المواطنين بالأفكار والأساليب التي تضمن حسن التصرف مع الوقائع المخالفة.

(و) تمكين الطلاب من المشاركة المجتمعية في الأنشطة المختلفة في الحي السكني، في البلدة، في المدينة، وفي الوطن. ومن ثم نقترح على واضعي السياسات والبرامج التربوية والتعليمية عدم إثقال البرامج بكثرة المواد التي تستغرق الوقت والجهد، وترك المجال سواء داخل

(1) ينظر بشأن اعتماد الحوار منهجا قرآنيا للنشئة على العدل وترسيخ قيم المواطنة: «المواطنة في الإسلام»، لسعيد إسماعيل علي، ص (353-354).

المؤسسات الرسمية أو الأهلية لتعليم الناشئة الحياة والمهارات المطلوبة، والاندماج المبكر في المشاركة المجتمعية.

4. الاستفادة من الخطاب الديني المعاصر:

لا يزال الخطاب الديني له تأثيره العميق في المجتمعات الإسلامية، سواء أكان في الوجة الأسبوعية في خطبة الجمعة، أو في الدروس والمحاضرات اليومية أو المناسباتية؛ ومن ثم فإن للخطاب الديني دوراً مهماً في توجيه السلوك المجتمعي وإيصال القنوات إلى الناس بما يدفعهم إلى التثب بقم المواطن والتفاعل معها بالإيجابية المطلوبة؛ ومن ثم يوجه القائمون على الخطاب الديني بما يأتي:

(أ) تقديم رؤية إسلامية علمية متوازنة للمواطنة، بعيداً عن الانفعالية وردود الأفعال، والمبالغات.

(ب) إصلاح الفكر المتطرف الذي يرفض الدولة أو يعادي المجتمع باعتد الحكمة والموعظة الحسنة.

(أ) المرونة في التواصل واللقاء في علاقات الجماعة الوطنية، وإثارة قضاياها لأجل النقاش العلمي والحوار الإيجابي بعيداً عن الشحن الإعلامي وتبادل التهم؛ والدعوة إلى الترفع عن تتبع أخطاء الناس وتجرهم ذكرهم بسوء؛ وإن كان ولا بد من إنكار المنكر فليكن التركيز على الموضوع (المنكر) وبيان حكمه الشرعي وآثاره السيئة، دون تشخيص

ولا إحراج.

(أ) تعزيز القيم المشتركة بين المواطنين، والاستثمار الجيد للتاريخ المشرف، والأعراف الجيدة، والمكاسب الإيجابية.

5. احترام التعددية الدينية والفكرية، ودعم المشاركة السياسية الواعية:

لقد وضع الإسلام نموذجاً رائداً للتعايش السلمي في المجتمع المتنوع، كما في وثيقة المدينة المشهورة. وإن تفعيل الاحترام المطلوب، والمشاركة المنشودة يقتضي ما يلي:

(أ) احترام حقوق المخالفين في الدين شرعاً وقانوناً، وبالتالي احترام خيارات الناس في الفكر والسياسة يعتبر من باب تحصيل الحاصل.

(ب) إدارة الخلاف بطرق سلمية، وتهيئة أفراد المجتمع لهذا المسلك. ومما يساعد في هذا مدّ جسور التواصل وبشكل مستمر مع المخالفين فكرياً أو دينياً، ويكون هذا في القضايا المشتركة، وفي المناسبات الاجتماعية، وكثرة التزاور والتحاوّر مع ظهور الاختلاف في الرأي. ولعل أهل القدوة من العلماء والأئمة ونحوهم يسهمون في هذا المسلك بشكل جيد يوسّع دائرة تطبيق هذا التوجيه.

(ج) دعم ثقافة قبول الآخر، من خلال الرسائل العلمية والإعلامية التي تحرص على إظهار التنوع في الفهم والتفسير واقتراح الحلول. وإن

دعم مادة "الفقه المقارن" في التعليم الجامعي يقدّم نموذجاً رائعاً عن تعدد الأفهام والاستدلالات وطرق الوصول إلى الحلول مما يوسع زوايا الرؤية ويفتح الذهن ويقضي على التصلب والتعصب وعقلية البعد الواحد. ومما يوصى به أيضاً في هذا المجال: كثرة البرامج الحوارية سواء في المؤسسات التعليمية أو الإعلامية مع ضرورة التهيئة المسبقة للتقيد بأداب الحوار ومتطلباته.

(د) تشجيع المشاركة السياسية الإيجابية سواء في الانتخابات، أو الرأي ونحوه، بغض النظر عن مختلف المؤثرات والأمور الظرفية أو الطارئة؛ لأن مسلك المشاركة في الرأي فيه إبراء للذمة من جهة، وفيه تعويد على عدم الانسحاب من المشاريع الوطنية مهما كانت الظروف والملايسات، والأمر كله بيد الله سبحانه.

(هـ) دعم مؤسسات المجتمع المدني والاشتراك معها بالرأي والمال والجهد، وتوجيه أفراد العائلة إلى تخصيص جزء ولو ضئيل من الدخل لصالح العمل الخيري؛ فالهدف هو ترسيخ هذا المسلك (ولو بشق تمره).
(و) تعزيز الوعي بالحقوق السياسية التي كفلتها الدساتير المختلفة، والإسهام في نشر قيم الحرية والمساواة في تلك الحقوق، والتطلع إلى الرفع من قيمة الأداء، والإيجابية مهما طال الزمن تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.



المطلب الخامس

نموذج تطبيقي للمواطنة من خلال السيرة النبوية

إذا رجعنا إلى الخلفية التاريخية لوثيقة المدينة فإننا نجد يثرب (المدينة) كانت عبارة عن تجمع سكاني من قبائل مختلفة الأصول والأنساب والديانة، فكان من مقتضيات الواقع ومتطلباته أن تلتف هذه المكونات المتعددة حول ميثاق ينظم علاقاتها بعد صراع طويل بينها قبل الإسلام، فوضع النبي ﷺ تلك الوثيقة لتجنب الاحتكاك والتصادم بين المكونات القديمة والوافدين الجدد الذين انضموا إلى النسيج البشري الموجود، وهي كتاب يصرّح بالتعددية الاختيارية، ويبني العقد على أساسها متجاوزاً ما يمكن أن تسببه من عوائق بتقديم مصالح التضامن والتعاون في شكل حقوق وواجبات.⁽¹⁾

ولعل أهم ما يميز وثيقة المدينة إقرارها حرية المعتقد، وتنظيمها لعلاقات في مجتمع متعدد، كما أن إقرارها جاء في ظروف عادية فليست مسبقة بقتال ديني أو ثقافي، ثم إنها لم تميز في كلامها بين الأقلية والأكثرية بل التزمت بمقتضى العدل، وضمنت مرجعية حاكمية يفىء إليها الجميع

(1) «صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة»، لعبد الله بن بية، مجلة التفاهم، عُمان، عدد (50)، (2015م)، ص(16).

حال التنازع والاختلاف.⁽¹⁾

إنَّ صحيفة المدينة نموذج يحتذى به في التأصيل لمسألة المواطنة التعاقدية في الفكر الإسلامي، لأجل تفعيل المشترك الإنساني، وتحديد عناصر الإقصاء والطرْد، وقد "كفلت حق المواطنة لكل من هو على أرض المدينة، وهذا يعني أن مجرد الانتماء إلى الأرض هو أحد مقومات المواطنة، إضافة إلى الولاء الذي يمكن النظر إليه بوصفه دوائر ومراتب بإمكانها أن تتواصل وتتفاعل بدلا من أن تتصادم وتتقاتل".⁽²⁾

ويمكن أن نستخلص نقاطا ضرورية من وثيقة المدينة للتأسيس لفكرة المواطنة وتفعيل قيمها:

(أ) وثيقة المدينة نموذج دستوري للمواطنة المتساوية.

(ب) معاهدات النبي ﷺ مع القبائل تُظهر احترام التعددية والاستثمار في المكتسبات.

(ج) موقفه من المنافقين يُظهر حرصه على استقرار المجتمع وحفظ النظام.

(1) «الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق»، لمحمد عمارة، ص(179)؛ «صحيفة

المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة»، لعبد الله بن بية، مقال سابق، ص(16).

(2) «صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة»، لعبد الله بن بية، مقال سابق، ص(22). وينظر:

«الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق»، لمحمد عمارة، ص(180).

(د) تطبيق الحدود بحزم وعدل يؤكد سيادة القانون.
ولعل هذا النموذج النبوي يشكّل مرجعاً مهماً للدول الحديثة في
مراعاة التوازن بين القيم والمصلحة العامة.⁽¹⁾



(1) ينظر: «قيم المواطنة من خلال وثيقة المدينة»، لأم نائل بركاني، ضمن الكتاب الجماعي: «فقه المواطنة في أصول الشريعة ومقاصدها»، ص (59-86).

خاتمة

وفي الختام نخلص إلى التأكيد على أن تفعيل قيم المواطنة في المجتمعات المعاصرة يتطلب رؤية شاملة للواقع، وقراءة متأنية للعناصر المؤثرة فيه، وتوفير حزمة من المشاريع العملية متعددة الواجهات، الأصيلة في مبادئها الإسلامية الراسخة، التي تجمع بين العدل، والحرية، والتنوع، والانتفاء، والمسؤولية.

وإن الواجب يقتضي على المؤسسات الدينية والتعليمية والسياسية أن تعمل معاً لبناء مواطنٍ فاعل، واعٍ، مشارك، متمٍ لوطنه، ومتعاون مع مجتمعه، وقادر على مواجهة تحديات العصر بروح إيجابية.

ولا بأس بالتذكير بأولوية ما يأتي:

- مشروع الفرد، أو انخراطه في مشروع إيجابي يتوافق مع مؤهلاته يخدم الوطن الذي يعيش فيه.

- مشروع الأسرة لتنشئة أبنائها والتفاعل مع جوارها في إطار داعم لقيم المواطنة من الاحترام والتعاون والتآزر وحماية المحيط.

- مشروع المؤسسة سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو دينية؛ بحيث يسطر في أهدافها تحقيق أكبر قدر ممكن من قيم المواطنة بين المتسبين لها والمتعاملين معها، وبيان الوسائل التي تكفل هذا بمساهمة الجميع.

- مشروع البلدة الذي يؤطره العلماء والوجهاء وأهل الرأي الذي يدعم المشروعات السابقين من جهة، ويؤسس لأعمال أوسع وأعمق ترسخ قيم المواطنة والمشاركة، وتشدّ على أيدي الجميع لأجل التعاون في خدمة مصالح البلد، وإزالة الأذى المادي والمعنوي من الطريق وبالأساليب القانونية المناسبة.

- مشروع الوطن في نصوصه القانونية، وهيئاته المتعددة، وبرامجه ومخططاته السنوية، حيث يظهر فيها استهداف الدعم المطلوب لقيم المواطنة ومحاصرة كل مشاريع التفكيك وبث الكراهية والاستقواء بالأجنبي، سواء تأتت تلك المشاريع التخريبية من الموافقين أو من المخالفين، وسواء أكانت مقصودة أو غير مقصودة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قائمة مصادر ومراجع البحث

- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- الإسلام وحقوق الإنسان - ضرورات لا حقوق: د. محمد عمارة، ط:1؛ القاهرة: دار السلام، 2005م.
- التربية على المواطنة في عالم متغير: علي أسعد وطفة - من جامعة الكويت (بحث منشور pdf بموقع مؤلفه: <https://watfa.net/archives/1365>).
- صحيفة المدينة: الدعوة والبلاغ والمواطنة: عبد الله بن بية، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 50، السنة 13، خريف 2015م/1436هـ.
- عصرنا والعيش في زمانه الصعب: د. عبد الكريم بكار، ط:1؛ دمشق: دار القلم، 1421هـ/2000م.
- فقه المواطنة في أصول الشريعة ومقاصدها: تأليف جماعي، تحرير وتقديم: د. صحرأوي مقلاتي، ط:1؛ الجزائر: أوراق ثقافية للنشر والتوزيع - جيجل، 2017م.
- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، لا.ط؛ بيروت: دار الفكر، 1415هـ/1995م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، لا.ط؛ القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- المعالجة الإسلامية لإشكالات المواطنة: رؤية تحليلية معاصرة": سامر مؤيد عبد اللطيف، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء، العراق، العدد 1، 2010م،

- المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس، وآخرون، ط: 2؛ القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1392هـ/1972م.
- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: د. محمد عمارة، ط: 4؛ القاهرة: نهضة مصر، 2004م.
- المواطنة في الإسلام: د. سعيد إسماعيل علي، ط: 1؛ القاهرة: دار السلام، 1432هـ/2011م.
- المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين - دراسة فقهية نقدية: د. صلاح الدين سلطان، ط 1 بيروت: دار ابن حزم، 1429هـ/2008م.
- المواطنة موضوعا للفكر والبحث.. الخطاب الإسلامي في مصر: عماد الدين شاهين، ضمن كتاب: المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية- رؤى جديدة، تحرير: علا أبو زيد، وهبة رؤوف عزت، ج 1، ط: 1؛ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005م.
- المواطنة وقبول الآخر من منظور إسلامي: د. بديعة علي أحمد الطملاوي، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، عدد 38، أكتوبر 2021م.

• Bernard Lewis, "Islam and Liberal Democracy: A Historical Overview", Journal of Democracy, vol.7, no.2 (1996).

<http://www.mugrn.net/vb/showthread.php?t=26731>

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
◆ مقدمة.	5
البحث الأول	
مفهوم المواطنة ومقومات الوطنية في الإسلام	9
◆ مقدمة.	11
المطلب الأول: مفهوم المواطنة.	13
أولاً: المواطنة في اللغة.	13
ثانياً: المواطنة في اصطلاح المسلمين.	14
ثالثاً: المواطنة في اصطلاح الغرب.	20
رابعاً: أبعاد مفهوم المواطنة.	24
خامساً: تجليات المواطنة.	25
المطلب الثاني: مقومات الوطنية.	26
أولاً: مرتكزات الانتماء للوطن.	26
ثانياً: نتائج انكماش الشعور بالانتماء الوطني.	28
ثالثاً: مضمون التربية الوطنية.	29
رابعاً: صفات المواطن الفعال.	30

31	خامسا: شروط المواطنة.
32	سادسا: التنوع الثقافي والتربية الوطنية.
39	♦ خاتمة.
42	♦ قائمة مصادر ومراجع البحث.
	البحث الثاني
45	المواطنة في الفكر الإسلامي اتجاهاتها وأبعادها
47	♦ مقدمة.
50	المطلب الأول: مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي.
50	(أ) معنى المواطنة في اللغة العربية.
52	(ب) المواطنة في الاصطلاح.
56	المطلب الثاني: اتجاهات المواطنة في الفكر الإسلامي.
	(أ): اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في تكييف مصطلح
56	المواطنة.
66	(ب): اتجاهات الفكر الإسلامي في تجسيد مبدأ المواطنة.
	- موازنة بين اتجاهات المواطنة في الفكر الإسلامي وفي
73	الفكر الغربي.
75	المطلب الثالث: أبعاد المواطنة في الفكر الإسلامي.
75	(1) البعد القانوني للمواطنة.

78	(2) البعد الاقتصادي والاجتماعي للمواطنة.
81	(3) البعد الثقافي والحضاري للمواطنة.
83	◆ خاتمة.
86	◆ قائمة مصادر ومراجع البحث.
البحث الثالث	
نحو تفعيل قيم المواطنة في المجتمعات المعاصرة	
91	- رؤية إسلامية -
93	◆ مقدمة.
95	المطلب الأول: المفهوم الإسلامي للمواطنة.
102	المطلب الثاني: تحديات المواطنة في المجتمعات المعاصرة.
103	المطلب الثالث: الأسس الشرعية لتفعيل المواطنة من منظور إسلامي.
103	1. العدل أساس المواطنة.
104	2. كرامة الإنسان.
104	3. الشورى والمشاركة.
105	4. حفظ النظام العام.
105	5. التفاعل الإيجابي بين مؤسسات الدولة والمواطن.
106	المطلب الرابع: مقترحات عملية لتفعيل قيم المواطنة في

	المجتمع الإسلامي المعاصر.
119	♦ خاتمة.
121	♦ قائمة مصادر ومراجع البحث.
123	♦ فهرس المحتويات.



“

ولعلّ أخطر ما في المسألة أنّ إشكالية المواطنة لدى البعض، تولّد عنها مسلك يسعى لأنّ يحفر في أساسات الدولة والهوية، الأمر الذي يعجّل بضرورة إدارة حوارات فكرية ومعرفية حول الوطنية والمواطنة، ووضع النقاط على الحروف، لتجاوز جميع أشكال التأزم الذي يؤدي في أغلب الأحوال إلى التشظي، وتفتت مقومات الهوية، وتكريس حالة التشرذم.

”

ISBN: 978-9969-681-42-0



9

789969

681420



سّاهمي